مكانة اللغة العربية
في ضوء تلازمها بالقرآن الكريم

الدكتور : أشرف محمد زيدان

جامعة ملايا – ماليزيا

الملخص

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه، ومن والاه، وبعد؛

عندما نعيد توصيف علاقة اللغة العربية بالقرآن الكريم، وفق رؤية عصرية؛ فإنّنا نسعى لوضع فَهْمٍ أوسع وأدق، حول هذه العلاقة، وفق هذه الرؤية؛ بحيث نتمكن من تأكيد الفائدة العلمية في موضوع العلاقة اللازمة، والذي ينتج عن فَهْمِ دلائلها وموجباتها، وسبل تعزيز هذه العلاقة، وتقويتها، وصولا إلى حالةٍ من اليقين، بأن استعادة الحضارة الإسلامية، لمكانتها المرموقة بين الحضارات، لا يمكن بغير إعادة تفعيل العلاقة، بين اللغة العربية والقرآن الكريم، وهذا ما سيكون خلاصة هذا البحث، والتي يتضمنها الحديث عن مستقبل هذه العلاقة، والأفق الذي تنطلق نحوه انطلاقتها الجديدة، بعد أن خبت شمس الحضارة الإسلامية، قرابة القرن من الزمن، معيدةً للأذهان زهوها، وأثر انجازاتها، التي قدمت للبشرية أنموذجًا إبداعيًّا خالدًا، ونتاجًا إنسانيًّا وماديًّا رائعًا، وكان في كل ما تقدم، أثر في فهم حقيقة العلاقة، بين اللغة العربية والقرآن الكريم.

جدير بالذكر؛ أنه عندما نتحدث عن دلائل علاقة التلازم بين القرآن الكريم واللغة العربية؛ فإننا نقصد بذلك، بيان ما يثبت وجود هذه العلاقة، وما يدلل على كونها حقيقة قائمة، وواحدة لا يمكن تجزئتها، كون التلازم حاصلًا بينهما بتقدير إلهي حكيم، وبثبات اللغة بما يحفظها من عاملٍ قوي جدًا، وهو تعلقها بالقرآن الكريم، الذي حفظ لها جميع مقومات بقائها، وتجددها، في الزمن. ذلك أن القرآن الكريم هو الذي وحَّد اللهجات

العربية في بوتقة واحدة؛ فتحصنت اللغة العربية، ثم جاء المغول ليخنقوها، ويلقوا بها في مياه دجلة؛ إلا أنها لم تختنق، ولم تغرقها مياه دجلة العارمة؛ فهبت اللغة العربية منتصبة على قدميْها. وجاء (نابليون)؛ يريد محوها ودفنها، فلم يستطع؛ ومن ثمَّ أعلنت العربية عن وجودها. وجاءت حركة (الاتحاد والترقي) في العهود الأخيرة من عمر الخلافة العثمانية؛ يريدون الكيد منها، فباؤوا بالفشل الذريع. وعقدت مؤتمرات (باريس) لمحو اللغة العربية من أرض الجزائر، فما استطاعوا أن يطفئوا نار حقدهم.

وهنا يقف كل حكيم، ويتساءل كل ذي عقل؛ ما هذه اللغة العظيمة؟ أي شيء أكسبها هذا الخلود والبقاء؟ ولا شك ولا ريب أن ليس مفر من أن تكون الإجابة: كتاب الله، إنه القرآن الكريم. ولهذا نفهم كلام العرب، الذي تحدثوا به قبل عشرات القرون، في حين أن الفرنسيين والإنكليز وغيرهم، لا يستطيعون أن يفهموا ما كُتب بلغتهم قبل أربعمائة عام، إلا بجهد جهيد، وبالاستعانة بالمعاجم؛ لحل غموض اللغة التي يسمونها (الكلاسيكية)، أو القديمة، بعد أن تغيرت قواعدها، على عكس اللغة العربية.

مقدمة:

لا شك أن هناك تلازمًا كبيرًا بين اللغة العربية والقرآن الكريم، بحسب ما قررته الحقائق العلمية، وهذا أمر ليس بجديد؛ إلا أننا عندما نعيد توصيف هذه العلاقة، وفق رؤية عصرية؛ فإنّنا نسعى لوضع فَهْمٍ أوسع وأدق، حول هذه العلاقة، وفق هذه الرؤية؛ بحيث نتمكن من تأكيد الفائدة العلمية في موضوع العلاقة اللازمة، والذي ينتج عن فَهْمِ دلائلها وموجباتها، وسبل تعزيز هذه العلاقة، وتقويتها، وصولا إلى حالةٍ من اليقين، بأن استعادة الحضارة الإسلامية، لمكانتها المرموقة بين الحضارات، لا يمكن بغير إعادة تفعيل العلاقة، بين اللغة العربية والقرآن الكريم، وهذا ما سيكون خلاصة هذا البحث، والتي يتضمنها الحديث عن مستقبل هذه العلاقة، والأفق الذي تنطلق نحوه انطلاقتها الجديدة، بعد أن غابت شمس الحضارة الإسلامية، قرابة القرن من الزمن، معيدةً للأذهان زهوها، وأثر انجازاتها، التي قدمت للبشرية أنموذجًا إبداعيًّا خالدًا، ونتاجًا إنسانيًّا وماديًّا رائعًا، وكان في كل ما تقدم، أثر في فهم حقيقة العلاقة، بين اللغة العربية والقرآن الكريم، وقد بدا ذلك واضحًا –لا مجال فيه للبس– كما تناولت هذه الدراسة التخصصية، التي وقعت في أربعة مباحث:

الأول: يتناول دلائل العلاقة بين اللغة العربية والقرآن الكريم.

أمَّا الثاني: فيتناول موجبات العلاقة بين اللغة العربية والقرآن الكريم.

وأمَّا الثالث: فيتناول سبل تعزيز العلاقة بين اللغة العربية والقرآن الكريم.

وأمَّا المبحث الرابع: فيتناول مستقبل العلاقة بين اللغة العربية والقرآن الكريم. والذي يفترض أن يكون مستقبلها، على أساس الحقائق القرآنية، والتاريخية، والاكتشافات البحثية الحديثة.

وقد حاول البحث، أن يضع بعض العلامات على طريق فهم علاقة التلازم، بين القرآن وبين لغته الحية، التي اتخذها أداة رئيسة، من أدوات إعجازه للناس، عن أن يأتوا بمثله، ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا. وعسى بعد ثبوت عجزهم لهم؛ أن يتفكروا، فيهتدوا إلى طريق الحق والحقيقة.

المبحث الأول
دلائل العلاقة بين اللغة العربية والقرآن الكريم

عندما نتحدث عن دلائل علاقة التلازم بين القرآن الكريم واللغة العربية؛ فإننا نقصد بذلك بيان ما يثبت وجود هذه العلاقة، وما يدلل على كونها حقيقة قائمة، موحدة لا يمكن تجزئتها، كون التلازم حاصلًا بينهما بتقدير إلهي حكيم، وبثبات اللغة بما يحفظها من عاملٍ قوي جدًا، وهو تعلقها بالقرآن الكريم، الذي حفظ لها جميع مقومات بقائها، وتجددها، خلال الزمن. وعلى الرغم من كل ما تعرضت له من دسائسَ ومؤامراتٍ، استهدفت القضاء عليها، أو تحجيمها، عن طريق كثير من الأساليب والوسائل؛ فإن القرآن الكريم، هو الذي وحَّد اللهجات العربية في بوتقة واحدة؛ فتحصنت اللغة العربية.

من هذه الأساليب، التي استهدفت القضاء على اللغة العربية، أو تحجيمها؛ ما قام به المغول؛ إذ عزموا على أن يخنقوها، ويلقوا بها في مياه دجلة؛ إلا أنها لم تختنق، ولم تغرقها مياه دجلة العارمة؛ فهبت اللغة العربية منتصبة على قدميْها. وجاء (نابليون)؛ يريد موتها ودفنها، فلم يستطع؛ ومن ثمَّ أعلنت العربية عن وجودها. وجاءت حركة (الاتحاد والترقي) في العهود الأخيرة من عمر الخلافة العثمانية؛ يريدون الكيد منها، فباؤوا بالفشل الذريع. وعقدت مؤتمرات (باريس) لمحو اللغة العربية من أرض الجزائر، فما استطاعوا أن يطفئوا نار حقدهم.

وهنا يقف كل حكيم، ويتساءل كل ذي عقل؛ ما هذه اللغة العظيمة؟ أي شيء أكسبها هذا الخلود والبقاء؟ ولا مفر من أن تكون الإجابة: كتاب

الله، إنه القرآن الكريم. ولهذا نفهم كلام العرب، الذي تحدثوا به قبل عشرات القرون، في حين أن الفرنسيين والإنكليز وغيرهم، لا يستطيعون أن يفهموا ما كُتب بلغتهم قبل أربعمائة عام، إلا بجهد جهيد، وبالاستعانة بالمعاجم؛ لحل غموض اللغة التي يسمونـــها (الكلاسيكية)، أو القديمة بعد أن تغيرت قواعدها، على عكس اللغة العربية.

وقد يعيننا ابتداءً، ما ذكره (القرطبي)(١) في تفسيره، على فَهْمِ حقيقة هذه العلاقة المتلازمة؛ إذ يروي "عن (ابن أبي ملكية)؛ قال: قدم أعرابي في زمان (عمر بن الخطاب) رضي الله عنه؛ فقال: من يقرئني مما أنزل على (محمد)(ﷺ)؟ قال: فأقرأه رجل براءة؛ فقال: إن الله بريء من المشركين ورسولِه –بالجر.

فقال الأعرابي: أو قد برئ الله من رسوله؟ فإن يكن الله بريء من رسوله؛ فأنا أبرأ منه؟ فبلغ (عمر) مقالة الأعرابي؛ فدعاه. فقال: يا أعرابي؛ أتبرأ من رسول(ﷺ)؟

فقال: يا أمير المؤمنين؛ إني قدمت المدينة، ولا علم لي بالقرآن؛ فسألت من يقرئني، فأقرأني هذا سورة براءة، فقال: إن الله بريء من

(١) هو: الإمام أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرج الأنصاري، الخزرجـي، الأندلسي، القرطبي، المفسر، كان مـن عبـاد الله الصـالحين، والعلمـاء العـارفين الورعين، الزاهدين في الدنيا، المشغولين بما يعنيهم من أمور الآخرة، كانـت أوقاتـه كلها معمورة مشغولة ما بين عبادة وتأليف، وكانت وفاتـه سـنة إحـدى وسـبعين وستمائة. ينظر: محمد بن محمد أبو شهبة، الدكتور: الإسرائيليات والموضوعات فـي كتب التفسير. مكتبة السنة، القاهرة، الطبعة الرابعـة، سـنة ١٤٠٨هـــ، ص ١٣٦ بتصرف.

المشركين ورسولِه. فقلت: أو قد بريء الله من رسولِه؟ إن يكن الله بريء من رسوله؛ فأنا أبرأ منه؟

فقال (عمر): ليس هكذا يا أعرابي.

قال: فكيف هي يا أمير المؤمنين؟

قال: إن الله بريء من المشركين ورسولُه.

فقال الأعرابي: وأنا والله أبرأ مما بريء الله ورسوله منه. فأمر (عمر بن الخطاب) رضي الله عنه ألا يقرئ الناس إلا عالم باللغة، وأمر (أبا الأسود)؛ فوضع النحو"(١).

ويضيف (القرطبي)، ما أورده عن (علي بن الجعد)؛ قال: "سمعت (شعبة) يقول: مَثَلُ صاحب الحديث الذي لا يعرف العربية؛ مثل الحمار، عليه مخلاة لا علف فيها"(٢). وأيضًا: قول (حماد بن سلمة) "من طلب الحديث ولم يتعلم النحو، أو قال العربية، فهو كمثل الحمار؛ تعلق عليه مخلاة ليس فيها شعير"(٣).

وهذه الأخبار كثيرة لا حصر لها، نورد منها الآتي:

---

(١) الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه السنة وآي الفرقان. تحقيق: هشام سمير البخاري. دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية، سنة ٢٠٠٣م، ج١، ص ٢٤

(٢) الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه السنة وآي الفرقان، ج١، ص ٢٤، (م س ذ).

(٣) المرجع السابق، ج١، ص ٢٤

أولًا: كتب كاتب لـــ (أبي موسى الأشعري) إلى (عمر ابن الخطاب): من (أبي موسى). فكتب إليه (عمر) رضي الله عنه: سلام الله عليك، فاضرب كاتبك سوطًا واحدًا، وأخر عطاءه سنة[1].

ثانيًا: عن (أبي أسود الدؤلي) –وذلك تكملة لما أورده القرطبي آنفًا– أنه سمع رجلًا يقرأ: إن الله بريء من المشركين ورسوله، بكسر اللام. فقال لا أظن يسعني إلا أن أضع شيئًا أصلح به نحو هذا[2].

ثالثًا: وعنه أيضًا؛ أنه جاء إلى (زياد) بالبصرة، فقال إني أرى العرب قد خالطت الأعاجم، وتغيرت الألسنة، أفتأذن لي أن أضع للعرب كلامًا يعرفون –أو يقيمون– به كلامهم؟ قال: لا. فجاء رجل إلى (زياد)؛ فقال: أصلح الله الأمير، توفى أبانا وترك بنونا. فقال زياد متعجبًا:

---

(١) ينظر: عبدالواحد بن علي، أبو الطيب، ت ٣٥١هــ: مراتــب النحــويين. تحقيــق: الدكتور محمد أبو الفضل إبراهيم. دار نهضة مصر، القاهرة، بدون تــاريخ. ص ٦. المرزباني: محمد بن عمران، أبو عبيد الله: نور القبس المختصر من المقتــبس فــي أخبار النجاة والأدباء والشعراء والعلماء. مؤسسة الرســالة، بيــروت، ص ٣. ابــن الأنباري؛ عبد الرحمن، أبو البركات: إيضاح الوقف والابتداء في كتاب الله عز وجل. تحقيق: محيي الدين رمضان. مؤسسة الرسالة، بيروت، بدون تاريخ. ص ٢٥

(٢) ينظر: مراتب النحويين، ص ٨، (م س ذ)؛ السيرافي؛ الحسن بن عبدالله، أبو ســعيد، ت ٣٦٨هــ: أخبار النحويين البصريين. مكتبة المتنبي للطباعة والنشــر والتوزيــع، الكويت، بدون تاريخ، ص ١٢. النديم: محمد بن إسحاق، أبو الفرج: الفهرســت. دار المعرفة، بيروت، سنة ١٩٧٨م، ص ٦٦

توفى أبانا وترك بنونا!! ادع (أبا الأسود الدؤلي)، فلما جاء إليه، قال: ضع للناس الذي نهيتك أن تضع لهم(١).

رابعًا: عن (أبي الأسود) أيضًا؛ أن ابنته قالت له يومًا: ما أحسنُ السماء؟ فقال: النجوم. قالت: إني لم أرد أي شيء منها أحسن؛ إنما تعجبت من حسنها. قال: إذن فقولي: ما أحسنَ السماءَ(٢).

خامسًا: استأذن رجل على (إبراهيم النخعي)؛ فقال: أبا عمران في الدار؟ فلم يجبه. فقال: (أبي عمران) في الدار؟ فقال (أبو عمران): قل الثالثة، وادخل(٣).

وكل هذه الروايات تؤكد وجود الإعراب، وتلازمه في اللغة العربية ، القرآن الكريم؛ الأمر الذي يدفعنا بالضرورة إلى تناول هذا المبحث، في مسألتين؛ هما:

المسألة الأولى: دلائل العلاقة في القرآن الكريم:

وردت في القرآن الكريم، آيات كثيرة ومتعددة، في كثير من المواضع، تفيد تلازم القرآن الكريم باللغة العربية، من ذلك:

قوله (سبحانه وتعالى): ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ۝٢﴾(٤).

---

(١) ينظر: أبو بكر محمد بن الحسن الزبيدي: طبقات النحويين واللغويين.تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثانية، بدون تاريخ، ص ١٤؛ ابن الأنباري؛ عبد الرحمن، أبو البركات: نزهة الألباء فى طبقات الأدباء. مؤسسة الرسالة، بيروت، سنة ١٩٩٨م، ص٥ .

(٢) أخبار النحويين البصريين، ص ١٣، (م س ذ).

(٣) الحموي؛ ياقوت: معجم الأدباء إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب. تحقيق: إحسان عباس. دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، سنة ١٩٩٣م، ج١، ص ٦٨

(٤) سورة يوسف، آية: ٢

وقوله (سبحانه وتعالى): ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا ۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَمَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ ﴿٣٧﴾﴾(١).

وقوله (سبحانه وتعالى): ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ ۗ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾﴾(٢).

وقوله (سبحانه وتعالى): ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴿١١٣﴾﴾(٣).

وقوله (سبحانه وتعالى): ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِىٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾﴾(٤).

وقوله (سبحانه وتعالى): ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٢٨﴾﴾(٥).

وقوله (سبحانه وتعالى): ﴿كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾﴾(٦).

وقوله(سبحانه وتعالى): ﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ۖ ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ ۗ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ ۖ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٤٤﴾﴾(٧).

وقوله(سبحانه وتعالى): ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ ٱلْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۚ فَرِيقٌ فِى ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِى ٱلسَّعِيرِ ﴿٧﴾﴾(٨).

---

(١) سورة الرعد، آية: ٣٧

(٢) سورة النحل، آية: ١٠٣

(٣) سورة طه، آية: ١١٣

(٤) سورة الشعراء، آية: ١٩٥

(٥) سورة الزمر، آية: ٢٨

(٦) سورة فصلت، آية: ٣

(٧) سورة فصلت، آية: ٤٤

(٨) سورة الشورى، آية: ٧

وقوله(ﷻ): ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝٣﴾[1].

وقوله(ﷻ): ﴿وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً ۚ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّيُنذِرَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ ۝١٢﴾[2].

وإذا كان ما سبق عرضه، لا يعدو أن يكون بمثابة لفت الانتباه، إلى تلازم العلاقة القوية بين اللغة العربية والقرآن الكريم، من خلال آي القرآن الكريم؛ فإن البحث يرى أنه من الضروري، الوقوف على بعض الآيات؛ لبيان معانيها، وأقوال المفسرين فيها؛ حتى يصير الأمر أكثر وضوحًا، من ذلك:

أولًا: قوله(ﷻ): ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝٢﴾[3]. فالمتدبر في هذه هذه الأية؛ يتضح له أن فهم القرآن مشروطًا بلغته، يقول (ابن كثير)[4]: "وذلك لأن لغة العرب، أفصح اللغات، وأبينها، وأوسعها،

---

(١) سورة الزخرف، آية: ٣

(٢) سورة الأحقاف، آية: ١٢

(٣) سورة يوسف، آية: ٢

(٤) هو الإمام الحافظ، المفسر، الفقيه، المؤرخ أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الطبري، ولد بآمل من بلاد طبرستان، سنة أربع وعشرين ومائتين للهجرة، لقي الكثيرين من الشيوخ وأخذ عنهم، وروى عنه الكثيرون، وكان من القناعة والزهد بمكان، وهو رأس المفسرين الذين وصلت إلينا كتبهم، جمع من العلوم ما لم يشاركه أحد من أهل عصره، وكان حافظًا لكتاب الله، عالمًا بالقراءات، بصيرًا بالمعاني، عالمًا بالسنن وطرقها، وصحيحها وسقيمها، وناسخها ومنسوخها، عالمًا باللغة والأدب، عالمًا بأحوال الصحابة والتابعين، وكان مثالًا مشرفا للتفاني في العلم والبحث والتأليف، وما ظنك برجل مكث أربعين سنة يكتب كل يوم أربعين ورقة؟! وبعد هذه الحياة الحافلة بالعلم والتأليف توفي ببغداد، ليومين بقيا من شوال، سنة=

وأكثرها تأدية للمعاني، التي تقوم بالنفوس، فلهذا أنزل أشرف الكتب، بأشرف اللغات، على أشرف الرسل، بسفارة الملائكة، وكان ذلك في أشرف بقاع الأرض، وابتدئ إنزاله في أشرف شهور السنة، وهو رمضان؛ فكمل من كل الوجوه، ولهذا قال: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَٰذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ ۝٣﴾"[1]. فكانت اللّغة عنصرًا، يستلزم نزوله بها، بتقدير الله(سبحانه وتعالى)، وحكمته العظيمة الكاملة. ولقد مرَّ أكثر من أربعة عشر قرنًا، على نزول هذه الآية، وما من دليل على أن لغة على الأرض، أكثر مقدرة على تأدية معاني الكلمات إلى نفس السامع، ومقدرة على بلوغ أقصى طاقة التعبير عن المقصود كاللغة العربية.

ثانيًا: قوله (سبحانه وتعالى): ﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ۝٢٨﴾[2]. والعوج هو الاختلاف، ومنه قول الشاعر:

أدوم بودّي للصديق تكرما ..... ولا خير فيمن كان في الودِّ أعوجا[3]

=عشر وثلاثمائة، وقد صلى على قبره عدة شهور، ورثاه خلق كثير. ينظر: الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير، ص ١٢٢، (م س ذ).

(١) ابن كثير؛ إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، أبو الفداء، ت ٧٧٤هـ: تفسير القرآن العظيم. تحقيق: سامي بن محمد السلامة. دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، سنة ١٩٩٩م، ج٢، ص ٤٦٧

(٢) سورة الزمر، آية: ٢٨

(٣) الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه السنة وآي الفرقان، ج١٠، ص٣٥٢، (م س ذ).

ولو أن لغة على الأرض أشد من العربية قدرة على التعبير، بغير اختلاف محتمل؛ لما صح الاحتجاج هنا، بوصفه قرآنا عربيًّا غير ذي عوج.

ثالثًا: قوله(ﷻ): ﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُواْ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ءَا۬عْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ هُدًى وَشِفَآءٌ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُوْلَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٤٤﴾﴾(١). وهذه الآية فيها مسائل عدة؛ يقول (القرطبي): "المسألة الأولى؛ وتكمن في قوله(ﷻ): ﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا﴾ أي بلغة غير العرب؛ لقالوا: ﴿لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ءَا۬عْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ﴾ أي: بينت بلغتنا؛ فإننا عرب لا نفهم الأعجمية. لذلك بيَّن(ﷻ) أنه أنزله بلسانهم، ليتقرر به معنى الإعجاز؛ إذ هم أعلم الناس بأنواع الكلام، نظمًا ونثرًا، وإذا عجزوا عن معارضته، كان من أدل الدليل على أنه من عند الله. ولو كان بلسان العجم؛ لقالوا: لا علم لنا بهذا اللسان.

أما المسألة الثانية: إذا ثبت هذا؛ ففيه دليل على أن القرآن عربي، وأنه بلغة العرب، وأنه ليس أعجميًّا، وأنه إذا نقل عنها إلى غيرها لم يكن قرآنًا.

وأما المسألة الثالثة: قوله: (ﷻ): ﴿ءَا۬عْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ﴾، والعجمي؛ هو الذي ليس من العرب، كان فصيحًا أو غير فصيح. والأعجمي؛ هو الذي لا يفصح، كان من العرب، أو من العجم. فالأعجم ضد الفصيح، وهو الذي لا يبين كلامه، ويقال للحيوان غير الناطق: أعجم. ومنه: صلاة النهار عجماء، أي لا يجهر فيها بالقراءة. فكانت

---

(١) سورة فصلت، آية: ٤٤

النسبة إلى الأعجم آكد"[1]. فالعجمة عكس الفصاحة، وكذلك لو كان في غير العربية فصاحة تضاهيها في التعبير عن معاني النفس؛ لانتفى الإعجاز المتمثل في كون القرآن عربي تحدى العرب.

رابعًا: قوله(ﷻ): ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝٣﴾[2]. والمبين هو البين الواضح، الجلي المعاني، والألفاظ؛ لأنه نزل بلغة العرب التي هي أفصح اللغات للتخاطب بين الناس، ولهذا قال(ﷻ): ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهُ﴾ أي: أنزلناه، ﴿قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا﴾، أي: بلغة العرب، فصيحًا واضحًا، ﴿لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝٣﴾؛ أي: تفهمونه وتتدبرونه، كما قال(ﷻ): ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ۝١٩٥﴾[3]؛ وقوله(ﷻ): ﴿وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ لَدَيْنَا لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ ۝٤﴾[4]، وبذلك يتضح أنه(ﷻ) قد بيّن شرفه في الملإ الأعلى؛ ليشرفه، ويعظمه، ويطيعه أهل الأرض، فقال(ﷻ): ﴿وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [5]، أي: اللوح المحفوظ. وفي هذا بيان سر جعله عربيًّا؛ فعربية القرآن بذلك حجة على الناس، لا لهم، وكونه كان بهذه اللغة؛ فهو غاية تدركها عقول من فهموها، وأدركوا بعضًا من أسرارها ومعانيها، فجعل القرآن بها ليفهمه الناس ويدركوا مقصود الله(ﷻ) منه.

(١) الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه السنة وآي الفرقان، ج١٥، ص ٣٦٨، (م س ذ).

(٢) سورة الزخرف، آية: ٣

(٣) سورة الشعراء، آية: ١٩٥

(٤) سورة الزخرف، آية: ٤

(٥) تفسير القرآن العظيم، ج٤، ص ١٢٣، (م س ذ).

المسألة الثانية: دلائل العلاقة في التاريخ والبحوث الحديثة:

لاشك أن اللغة العربية؛ هي لغة الدين، والعبادة، والسياسة. كما أنها لغة القرآن الكريم، واللغة المشتركة لكل الشعوب، التي دانت للحكم الإسلامي، يقول (نيودور نولدكه): "لم تصر العربية حقًا لغة عالمية إلا بسبب القرآن والإسلام؛ إذ تحت قيادة القرشيين فتح البدو، وسكان الواحات، نصف العالم لهم وللإيمان، وهكذا صارت العربية لغة مقدسة أيضًا"[(١)].لذا يتحتم على كل مسلم أن يتعلم هذه اللغة؛ لمكانتها الدينية والعلمية. وقد اعتزَّ بها العرب أشد الاعتزاز، وكذلك الشعوب التي تتحدث بها.

ويحاول البحث -في تواضع- وصف العلاقة المتلازمة بين اللغة العربية والقرآن الكريم، عن طريق التاريخ، والدراسات المعاصرة في مجال الاكتشافات اللغوية الحديثة؛ "فحين ننظر إلى اللغة العربية، التي نزل بها القرآن، والحديث في تفاريع ذلك؛ يتضح أن القرآن ثبَّت اللغة المتداولة آنذاك؛ فوقفت اللغة العربية على أكمل صورها التي وصلت إليها، وتنادى العلماء لجمعها وحفظها؛ فكانت علوم العربية الأساسية من لغة ونحو وصرف، وصارت هذه اللغة معيارية يقاس عليها، ويوزن بها؛ لمعرفة الصحيح من الضعيف، والحق من الباطل، وصار في مصطلحات العلماء اللغة الكثيرة، واللغة القليلة، واللغة الشاذة... الخ.

---

(١) ثيودور نولدكه: اللغات السامية تخطيط عام. ترجمة: الدكتور رمضان عبد التـــواب. دار النهضة العربية. القاهرة، بدون تاريخ، ص ٧٥

ومع ثراء ما جمعه أهل اللغة؛ إلا أنهم لم يستطيعوا جمع كل كلام العرب، بل ندَّ عنهم منه شيء، بشهادة جمع من العلماء، المشتغلين بهذا الشأن؛ كـــ (أبي عمرو بن العلاء)، و(الكسائي)، و(أبي عبيد القاسم بن سلام)، وغيرهم"(١).

ومن صور عظمة هذه اللغة؛ خلوها من الترادف، فقد كانت الدراسات –وإلى خمس سنوات خلت– تحاول إثبات خلو القرآن من الترادف، وعلى الرغم من قول الكثير من متقدمي أهل التفسير بهذا الرأي؛ ألا أننا وجدنا في معرض البحث، المزيد من الأدلة على خلوه من الترادف، وأن اللغة العربية بأسرها، هي لغة تخلو من الترادف –على اختلاف بين العلماء نعرضه باختصار–. وفي خلوهما معًا صار عندنا من دلائل التلازم المزيد والمزيد.

فقد حدد اللغويون ألفاظ اللغة، من حيث دلالاتها بثلاثة أنواع: المتباين: وهو أكثر اللغة، وذلك أن يدل اللفظ الواحد على معنى واحد. المشترك اللفظي: وهو أن يدل اللفظ الواحد على أكثر من معنى. المترادف: وهو أن يدل أكثر من لفظ على معنى واحد(٢). وجدير بالذكر أن اللغوي الشهير (أولمان) قد عدّ كلًا من المشترك اللفظي، والمترادف، من باب تعدد المعنى، وهناك تعريفان للمعنى يساعدان على تمييز الفروق بين المشترك اللفظي والمترادف، قد وردا في كتاب (أوجدن)

---

(١) ينظر: الشبكة الدولية للمعلومات (الشبكة العنكبوتية)، موقع: www.tafsir.org

(٢) سعيد عطية علي مطاوع، الدكتور: إشكالية الترادف في الترجمة العبرية لمعاني القرآن الكريم. دار الآفاق العربية، القاهرة، سنة ٢٠٠٦، ص ٢١

و(ريتشاردز) المسمى بـ (معنى المعنى) وهما: إذا رمزنا إلى اللفظ بالرمز (أ) وإلى الصورة الذهنية بالرمز (ب)؛ فهل المعنى هو العلاقة بين (أ) و (ب)، أو هو (ب) نفسها؟ رأيان: على التعريف الثاني؛ لا يدخل الترادف في تعدد المعنى؛ لأن المعنى هو الصورة الذهنية، والصورة الذهنية واحدة في المترادف، فلم تتعدد الصورة، فلم يتعدد المعنى.

وأما التعريف الأول؛ فيدخل الترادف في تعدد المعنى؛ لأن المعنى هو العلاقة بين الرمز والصورة، ويتحقق التعدد له بتعدد العلاقة بين اللفظ والصورة، وتعدد العلاقة يتحقق بتعدد أحد طرفيها. فإن كان التعدد في (أ) كان من المترادف، وإن كان التعدد في (ب) كان من المشترك اللفظي(١). إذاً؛ يقتضي المعنى تتبع تسلسل اللفظ تسلسلًا في المدلول المفهوم، وبعبارة أخرى: أن يكون لكل كلمة منطوقة معنى واحد وقيمة فريدة(٢).

ويؤيد معظم اللغويين المحدثين، إنكار الترادف الكامل؛ فيقول (بلومفيلد): "إننا ندّعي أن كل كلمة من كلمات الترادف، تؤدي معنى ثابتًا مختلفاً عن الأخرى، وما دامت الكلمات مختلفة صوتيًا؛ فلابد أن تكون معانيها مختلفة كذلك. وعلى هذا فإننا نرى أنه لا يوجد ترادف حقيقي". ويقول (هاريس) موضحًا رأي (بلومفيلد): "إنه في إطار اللغة الواحدة، لا

---

(١) أحمد مختار عمر، الدكتور. علم الدلالة. عالم الكتب، القاهرة، الطبعة الخامسة، سنة ١٩٩٨م، ص ص ١٤٥ - ١٤٦

(٢) صلاح فضل، الدكتور: علم الأسلوب. منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، الطبعة الأولى، سنة ١٩٨٥م، ص ٢٦٠

يوجد ترادف، فالاختلاف الصوتي لابد أن يصحبه اختلاف في المعنى". ويقول (ف. هــ. جورج): "إذا كانت كلمتان مترادفتان من جميع النواحي، ما كان هناك سبب في وجود الكلمتين معًا". ويقول (ستورك): "كل الكلمات تملك تأثيرًا عاطفيًّا، كما تملك تأثيرًا إشاريًّا؛ ولهذا فمن المستحيل أن تجد مترادفات كاملة"(١).

وهناك قلة من الباحثين يقولون بوجود الترادف؛ إما مع تضييق شديد، أو مع شيء من التجوز، أو بشروط خاصة. وينتمي (أولمان) إلى أصحاب الرأي الأول، الذي يقول: "إنه يكاد يكون بديهيًّا أن الترادف الكامل غير موجود، أو نادر الحدوث جدًا. إنه ترادف لا يمكن للغة أن تقدمه بسهولة، وفقط تلك الكلمات التي يمكن أن تحل إحداها محل الأخرى، في أي سياق من غير فرق على الإطلاق، تلك الكلمات فقط هي التي يمكن أن تعد مترادفة"، ويضيف: "إذا ما وقع هذا الترادف التام؛ فالعادة أن يكون ذلك لفترة قصيرة محدودة، إذ إن الغموض الذي يعتري المدلول، والألوان أو الظلال المعنوية، ذات الصبغة العاطفية، أو الانفعالية التي تحيط بهذا المدلول، لا تلبث أن تعمل على تحطيمه، وتقويض أركانه، وكذلك سرعان ما تظهر بالتدريج فروق معنوية دقيقة بين الألفاظ المترادفة، بحيث يصبح كل لفظ منها مناسبًا وملائمًا للتعبير عن جانب واحد فقط، من الجوانب المختلفة للمدلول الواحد"(٢).

(١) علم الدلالة، ص ص ٢٢٤ – ٢٢٥، (م س ذ).

(٢) استيفن أولمان. دور الكلمة في اللغة. ترجمة: كمال بشر. القاهرة، الطبعة الأولى، بدون تاريخ، ص ٩٨

أما أصحاب الرأي الثاني فيقول عنهم (ليهرر): "هناك فريق يقول بوجود الترادف؛ لأنه يكتفي بصحة تبادل اللفظين، في معظم السياقات، مثل كلمة (أم) العربية، التي تقابلها الكلمة (אם) في العبرية، و(Mother) في الإنجليزية، ومرادفها: والدة؛ הורה؛ mama. والخلاف الأسلوبي بينهما لا يمنع ترادفهما"(١).

وهناك أصحاب الرأي الثالث؛ الذين يضعون شروطًا لتحقق الترادف، منها: اتحاد العصر، والبيئة اللغوية، ثم الاتفاق في المعنى بين الكلمتين، اتفاقًا تامًا، مع اختلاف الصورة اللفظية للكلمتين؛ بحيث لا تكون إحداهما نتيجة تطور صوتي عن الأخرى(٢).

ويعد الترادف، مظهر ثراء وإبهار في اللغة العربية؛ فهو حشد لغوي، تترادف فيه الألفاظ، وتتوالى على المعنى الواحد. وشواهده في العربية، كثيرة ومتنوعة، تشمل الأسماء، والأفعال والصفات. وعلى الرغم من أن الترادف، ظاهرة لغوية عامة، تشترك فيها اللغات الحية؛ إلا أنه بصورته التي جاء عليها في العربية –من الاتساع والشمول– كاد يكون خصيصة من خصائصها، وميزة تنفرد بها بين اللغات، فللماء مائة وسبعون اسمًا، وللثعبان مائتا اسم، وللسيف ألف اسم، وللداهية ما لا يحصى من الأسماء؛ حتى قالوا: أسماء الدواهي من الدواهي.

(1) A.lehrer -Meaning in Linguistics -in theory of Meaning. A. and K lehere ,U.S.A1975. P 15

(٢) إبراهيم أنيس، الدكتور: فى اللهجات العربية. مكتبة الأنجلو المصرية، الطبعة الثالثة، سنة ١٩٦٥م، ص ص ١٧٨ – ١٧٩

ولأهمية الترادف، ومكانته في اللغة؛ اهتم القدماء به، فنشطوا لجمع مفرداته، ووضعوا فيه الرسائل والمطولات، وكشفوا عن ثروة طائلة، تدل على مدى أثره في اتساع اللغة، ومدى إطنابها، وذكروا من فوائده: الوفاء بحاجة البلغاء، في تنوع العبارات، وتلوين الأساليب، والحرية في الاختيار والانتقاء، والقدرة على التوسع في طرق الفصاحة، وأساليب البيان(١). ويبدو أن من أقدم الكتب العربية التي حملت اسم الترادف، كان كتاب (أبي الحسن علي بن عيسى الروماني: ت ٣٨٤ هـ)، وعنوانه: (كتاب الألفاظ المترادفة والمتقاربة في المعنى)، كما يبدو أن مِن أقدم مَن أطلقوا اسم الترادف على هذه الظاهرة، هو (أبو الحسين أحمد بن فارس)(٢) في كتابه (الصاحبي)(٣)، وللعلماء في الترادف آراء متباينة:

(١) على اليمنى دردير، الدكتور: أسرار الترادف في القرآن الكريم. دار ابن حنظل، القاهرة، سنة ١٩٨٥م، ص ص ١١ – ١٢

(٢) أبو الحسين، أحمد بن فارس بن زكريا بن محمد بن حبيب الرازي، اللغوي، كان إمامًا في علوم شتى، خصوصًا اللغة؛ فإنه أتقنها، وألف كتابه المجمل في اللغة، وهو على اختصاره جمع شيئًا كثيرًا، وله كتاب حلية الفقهاء وله رسائل أنيقة، ومنه اقتبس الحريري صاحب المقامات، ذلك الأسلوب، ووضع المسائل الفقهية في المقامة الطيبية، وهي مائة مسألة. ينظر: العكري؛ عبد الحي بن أحمد بن محمد الحنبلي، ت: ١٠٨٩هـ: شذرات الذهب في أخبار من ذهب. تحقيق: عبد القادر الأرنؤوط، ومحمود الأرنؤوط. دار ابن كثير، دمشق، طبعة سنة ١٤٠٦هـ، ص ٧٥

(٣) ينظر: ابن فارس: الصاحبى فى فقه اللغة. تحقيق: مصطفى الشويمى، بيروت، سنة ١٩٦٣م، ص ٩٧؛ جلال الدين السيوطى: المزهر فى علوم اللغة . تحقيق: محمد أحمد جاد المولى، وآخرين. مطبعة الحلبي، القاهرة، بدون تاريخ، ج ١، ص ٤٠٤؛ علم الدلالة، ص ٢١٦، (م س ذ).

بعضهم يؤكد وجود الترادف التام، وينكر وجود المعاني الفارقة بين ألفاظه، ويحتج هؤلاء بقولهم: لو كان لكل لفظة معنى خاص،غير معنى مرادفها؛ لما أمكن أن يعبّر عن الشيء بغير عبارته. ويقولون: إنا نقول في (لا ريب فيه)، (لا شك فيه)، فلو كان الريب غير الشك؛ لكانت العبارة عن معنى الريب بالشك خطأ، فلما عبر بهذا عن هذا؛ دل على أن المعنى واحد، والشاعر يأتي بالاسمين المترادفين للمعنى الواحد، في مكان واحد؛ تأكيدًا ومبالغة.

ويروي أصحاب هذا الرأي قصصًا وأحاديث للبرهنة على رأيهم؛ فيحكون عن (أبي زيد) اللغوي، أنه سأل أعرابيًّا: ما المحنبطي؟ قال هو المتكأكئ. فسأله وما المتكأكئ؟ قال: هو المتآزف. فسأله. وما المتآزف؟ قال أنت أحمق؛ لأنه سئم مسألته. واستدلوا من هذا الخبر وغيره، على أن العربي، كان يحتفظ للمعنى الواحد بألفاظ مترادفة؛ للدلالة عليه دون تفريق. ومن أصحاب هذا الرأي أيضًا: (الفخر الرازي) الذي أنكر على الاشتقاقيين تلمس المعاني الفارقة؛ مما لا تشهد لها شبهة، فضلًا عن حجة. و(التاج السبكي)؛ الذي تابع (الفخر) فيما ذهب إليه، ووصف القول بالمعاني الفارقة بأنه: تكلف ومقال عجيب. وكذلك (صاحب فواتح الرحموت)؛ الذي يرى أن الترادف واقع في اللغة بالضرورة الاستقرائية، خلافًا لقوم لا يعبأ بهم. وكان (ابن خالويه) أشدهم تحمسًا وانشغالًا به، وله فيه كتب كثيرة، منها كتاب في أسماء الأسد، وآخر في أسماء الحية. و(للفيروزآبادي) غرام شديد به؛ دفعه إلى التزيد فيه، فحمل عليه ما ليس

منه على نحو ما هو واضح من كتابه الموسوم بـــ (الروض المسلوف فيما له اسمان إلى ألوف)(١).

وهناك فريق آخر ينكر الترادف التام، ويؤكد وجود المعاني الفارقة بين ألفاظه، ومن هؤلاء: (المبرد) و(ثعلب)، و(ابن فارس) وغيرهم من الاشتقاقيين، أصحاب الحس الأدبي، الذي ساعدهم على تبين المعاني الخاصة بين المترادفات. وكان (أبو علي الفارسي) يقول: لا أحفظ للسيف إلا اسمًا واحدًا، وهو السيف. وحين سئل: فأين المهند والصارم وكذا، وكذا؟ قال: هذه صفات(٢).

ووضع (أبو هلال العسكري) كتابه (الفروق اللغوية)؛ لتوضيح الفروق الدقيقة، بين المترادفات، وقد وضع لبابه الأول عنوان: (في الإبانة عن كون اختلاف العبارات والأسماء موجبًا لاختلاف المعاني في كل لغة والقول في الدلالة على الفروق بينها)(٣). وأورد (أبو الهلال العسكري) عدة أوجه، يستدل بها على تحقق الفروق اللغوية، فيقول: وأما ما يعرف به الفرق بين هذه المعاني، وأشباهها؛ فأشياء كثيرة منها:

أولًا: اختلاف ما يستعمل عليه اللفظان، اللذان يراد الفرق بين معنييهما.

وذلك كالفرق بين العلم والمعرفة، وذلك أن العلم يتعدى إلى مفعولين، والمعرفة تتعدى إلى مفعول واحد، فتعرفهما على هذا الوجه، واستعمال أهل اللغة إياهما عليه؛ يدل على الفرق بينهما في

(١) أسرار الترادف في القرآن الكريم، ص ص ١٣ – ١٤، (م س ذ).

(٢) فى اللهجات العربية، ص ١٧٦، (م س ذ).

(٣) أبو هلال العسكرى: الفروق اللغوية. ضبطه وحققه: حسام الدين القدسى. دار زاهد القدسى، القاهرة، بدون تاريخ، ص ص ١٠– ١٢

المعنى، وهو أن لفظ المعرفة يفيد تمييز المعلوم من غيره، ولفظ العلم لا يفيد ذلك، إلا بضرب آخر من التخصيص، في ذكر المعلوم.

ثانيًا: الفرق الذي يعرف من جهة صفات المعنيين؛ كالفرق بين الحلم والإمهال، وذلك أن الحلم لا يكون إلا حسنًا، والإمهال يكون حسنًا وقبيحا.

ثالثًا: الفرق الذي يعرف من جهة ما يؤول إليه المعنيان؛ كالفرق بين المزاح والاستهزاء، وذلك أن المزاح لا يقتضي تحقير الممازح، و لا اعتقاد ذلك فيه؛ فالتابع يمازح المتبوع من الرؤساء والملوك، فلا يدل ذلك منه على تحقيرهم، ولا اعتقاد تحقيرهم، ولكن يدل على استئناسه بهم. والاستهزاء يقتضي تحقير المستهزأ به؛ فظهر الفرق بين المعنيين، بتباين ما دلا عليه وأوجباه.

رابعًا: الفرق الذي يعلم من جهة الحروف التي تعدى بها الأفعال؛ كالفرق بين العفو والغفران، ذلك أنك تقول: عفوت عنه؛ فيقتضي ذلك أنك محوت الذم والعقاب عنه. وتقول غفرت له؛ فيقتضي ذلك أنك سترت له ذنبه ولم تفضحه به.

خامسًا: الفرق الذي يعرف من جهة اعتبار النقيض؛ كالفرق بين الحفظ والرعاية، وذلك أن نقيض الحفظ الإضاعة، ونقيض الرعاية الإهمال، ولهذا يقال للماشية، إذا لم يكن لها راع؛ همل. والإهمال يؤدي إلى الإضاعة، فعلى هذا يكون الحفظ صرف المكاره عن

الشيء، لئلا يهلك. والرعاية؛ فعل السبب الذي يصرف به المكاره عنه.

سادسًا: الفرق الذي يعرف من جهة الاشتقاق؛ كالفرق بين السياسة والتدبير، وذلك أن السياسة هي النظر في الدقيق من أمور السوس، مشتقة من السوس، هذا الحيوان المعروف. ولهذا لا يوصف الله(ﷻ) بالسياسة؛ لأن الأمور لا تدق عنه. والتدبير مشتق من الدبر، ودبر كل شيء آخره. وإدبار الأمور عواقبها؛ فالتدبير آخر الأمور، وسوقها إلى ما يصلح به أدبارها، أي عواقبها. ولهذا قيل للتدبير المستمر: سياسة؛ وذلك أن التدبير إذا كثر واستمر؛ عرض فيه ما يحتاج إلى دقة النظر، فهو راجع إلى الأول. وكالفرق بين التلاوة والقراءة وذلك أن التلاوة لا تكون في الكلمة الواحدة، والقراءة تكون فيها. تقول قرأ فلان اسمه، ولا تقول تلا اسمه. وذلك أن أصل التلاوة، من قولك: تلا الشيء الشيء يتلوه؛ إذا تبعه. فإذا لم تكن الكلمة تتبع أختها؛ لم تستعمل فيها التلاوة، إنما تستعمل فيها القراءة؛ لأن القراءة اسم لجنس هذا الفعل.

سابعًا: الفرق الذي توجبه صيغة اللفظ؛ كالفرق بين الاستفهام والسؤال، وذلك أن الاستفهام لا يكون إلا لما يجهله المستفهم، أو يشك فيه؛ لأن المستفهم طالب لأن يفهم، وقد يجوز أن يسأل فيه السائل عما يعلم، وعما لا يعلم. فصيغة الاستفهام، وهو استفعال، والاستفعال للطلب؛ ينبئ عن الفرق بينه وبين السؤال.

ثامنًا: الفرق الذي يعرف من جهة اعتبار أصل اللفظ في اللغة وحقيقته فيها؛ كالفرق بين الحنين والاشتياق، وذلك أن أصل الحنين في اللغة، هو صوت من أصوات الإبل؛ تحدثها إذا اشتاقت إلى أوطانها، ثم كثر ذلك؛ حتى أجري اسم كل واحد منهما على الآخر، كما يجري على السبب وعلى المسبب اسم السبب، فإذا اعتبرت هدف المعاني، وما شاكلها في الكلمتين، ولم يتبين لك الفرق بين معنييهما؛ فاعلم أنهما من لغتين مثل القدر بالبصرية، والبرمة بالملكية"(١).

ويعلق الدكتور (سعيد عطية علي مطاوع) على آراء الفريقين بقوله: "الظاهر أن الاختلاف بينهما شكلي؛ فالذين يكتفون بتقارب الألفاظ في معانيها العامة؛ يحكمون عليها بالترادف، والذين يدققون في معانيها الخاصة؛ ينكرون الترادف بينها"(٢).

ويزيد الدكتور (علي اليمني) الأمر وضوحًا؛ فيقول: "والصحيح أن الترادف في اللغة نوعان؛ نوع يرجع في نشأته إلى اختلاف اللهجات، في التواضع، واجتماع ما تواضع عليه كل منها في اللغة الموحدة، أمثال: (سكين، ومدية) بمعنى واحد. فالأولى؛ قرشية، والثانية؛ أزدية. وفي الحديث أن الرسول(ﷺ)، قال لـــ (أبي هريرة): ناولني السكين، فلم يفهم عنه، ثم التفت وقال آلمدية تريد؟ قال: نعم. فقال أو تسمى سكينًا عندكم؟ ثم قال: والله لم أكن سمعتها إلا يومئذ، ما كنا نسميها إلا مدية. وهذا

(١) الفروق اللغوية، ص ص ١٤-١٦، (م س ذ).

(٢) إشكالية الترادف في الترجمة العبرية لمعاني القرآن الكريم،ص ٢٥، (م س ذ).

النوع من الترادف؛ لا تتأتى فيه المعاني الفارقة، ولا يقوى على إنكاره أحد.

أما النوع الثاني من الترادف؛ فيقوم على مجرد التقارب في المعاني العامة المشتركة، على نحو ما نرى من أسماء الأسد، والسيف، والعسل، ونحوها؛ فإنما هي في الأصل صفات، اشتهرت في الاسمية، فعدوها من المترادفات. وهذا النوع يمثل القسم الأعظم في المترادفات، وهو مما لا يتحقق التماثل بين ألفاظه؛ إذ تحتفظ فيه كل كلمة بمعناها الخاص. وأيضًا فإن اللغة في الواقع لغتان: لغة بسيطة، يتعامل بها الناس في الشئون العامة، ويكتفون منها بتقارب الدلالات، وهذه اللغة تقر الترادف وتتوسع فيه. ولغة فنية راقية، تحرص على الدقة، وتتوخى الإحكام في البيان، ومثل هذه اللغة لا تعترف بالترادف، وترى للألفاظ خصائصها الفارقة، وسماتها المميزة. والعالم حين يفحص الأساليب ويفاضل بين المنشئين، يحتكم إلى اللغة الفنية؛ فيتعرف خلالها على دقائق المعاني، ومظاهر التفوق والإبداع؛ فيرى في الريب معنى غير معنى الشك، وفي قعد معنى غير جلس(١).

والفصل في ذلك كله ينبغي أن يكون للقرآن الكريم؛ فهو كتاب العربية الأكبر، وهو الذي جاء في ذروة البلاغة العليا، وهو الحاكم على

(١) أسرار الترادف فى القرآن الكريم، ص ص ١٤- ١٦، (م س ذ).

اللغة، المخصص للاستعمال، لم ينكره العرب، أو يستنكروا منه شيئًا؛ بل ارتقى بلغتهم، وصار المهيمن عليها، والحكم بينهم"(١).

ومن الدلائل القوية الدالة على ترابط اللغة العربية بالقرآن الكريم؛ خلو العربية والقرآن معًا من الكلمات الأصلية، التي تزيد على خمسة أحرف. وإن مما يحسب للعربية "اعتدال كلماتها؛ فإننا نجد أكثر ألفاظها قد وضع على ثلاثة أحرف، وأقل من الثلاثي ما وضع على أربعة أحرف، وأقل من الرباعي ما وضع على خمسة أحرف، وليس في اللغة العربية كلمة ذات ستة أحرف أصلية، وقد جاءت ألفاظ قليلة جدًا على حرف واحد أو حرفين"(٢). والغاية من هذا ألَّا يطول النطق، أو يعسر على اللسان.

هذه الأمثلة -التي تقدم ذكرها على عجل لضيق المقام- تبين أن اللغة العربية هي لغة الخلود؛ لأنها اللسان الذي نزل بها القرآن الكريم، يقول(ﷻ): ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾ ﴾(٣). وقد وعد الله بحفظ هذا الكتاب، فقال(ﷻ): (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ)(٤). والحفظ هنا؛ "حفظ من الزيادة أو النقصان"(٥). ذلك أن حفظ اللغة متعلق بحفظ الله(ﷻ) للقرآن الكريم، وبهذا يكون اليقين بأن

(١) محمد بن عبد الرحمن الشايع، الدكتور: الفروق اللغوية وأثرها في تفسير القرآن الكريم. مكتبة العبيكان، المملكة العربية السعودية. ص٦

(٢) خالد العريني: عناصر اللغة العربية وخصائصها. وزارة المعارف، المملكة العربية السعودية، بدون تاريخ، ص ٤

(٣) سورة الشعراء، الآيات: ١٩٣ - ١٩٥

(٤) سورة الحجر، آية: ٩

(٥) الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه السنة وآي الفرقان، ج١٠، ص٥،(م س ذ).

هذه اللغة هي الأصلح، والأقوى، والأبقى، والأقدر على إيصال المعنى الدقيق، إلى عقل ونفس السامع، من جميع لغات العالم، وهو بذلك يُعدُّ أحد متعلقات الاعتقاد، ومؤشر من مؤشرات سلامته بالنسبة للإنسان المسلم؛ لذا صار لزامًا على كل مسلم أن يفتخر بهذه اللغة، ويعتز بها ويخدمها خدمة للدين القويم، وأن يعرف هذه اللغة، ويتعلمها؛ لمكانتها الدينية والعلمية. قال (ابن شُبْرُمة): "إذا سرّك أن تعظم في عين من كنت بعينه صغيرًا، ويصغر في عينك من كان في عينك عظيمًا؛ فتعلم العربية، فإنها تجريك على المنطق، وتدنيك من السلطان".

وقد كثرت اللغات العربية التي تكتب بالحروف العربية، وهذا دليل على مكانتها العظيمة في قلوب تلك الأمم، المنتشرة في آسيا وأفريقيا؛ كالهندستانية، والأوردية، والبنجابية، والإيرانية، والأفغانية في آسيا، وبلاد الهند، والكوموكية في أوربا.

المبحث الثاني
موجبات العلاقة بين اللغة العربية و القرآن الكريم

يعد اعتماد المفسرين على الإعراب، في فهم دلالات النصوص القرآنية؛ من موجبات العلاقة المتلازمة بين اللغة العربية والقرآن الكريم. وبالمقابل؛ صار فهم العربية السليمة من القرآن، مما لا غنى عنه، بعد كل ما تعرضت له اللغة العربية من دسائسَ ومؤامرات ومحاربة.

ولقد حاول بعضهم، إبطال هذه الخصيصة الحافظة للغة العربية، بادعاء عدم أصالة الإعراب أساسًا؛ فكان الرد حاسمًا وبليغًا، بإثبات وجود الإعراب، علمًا معروفًا، في تاريخ الحضارات، التي سبقت الإسلام

بآلاف السنين. فيرى جميع النحاة العرب، إلا (ابن المستنير: ت ٢٠٦هـ)(١)، المعروف (بقطرب)، أن حركات الإعراب تدل على المعاني المختلفة، التي تعترِ الأسماء، من فاعلية، أو مفعولية، أو غير ذلك، فيقول (أبو القاسم الزجاجي: ت ٣٣٧هـ)(٢): "فإن قال قائل: قد ذكرت أن الإعراب داخل في الكلام، فما الذي دعا إليه، واحتيج إليه من أجله؟ فالجواب أن يقال: إن الأسماء لما كانت تعتريها المعاني، وتكون فاعلة، ومفعولة، ومضافة، ومضافًا إليها، ولم يكن في صور أبنيتها أدلة على هذه المعاني، بل كانت مشتركة؛ جعلت حركات الإعراب فيها، تنبئ عن هذه المعاني، فقالوا: ضرب زيد عمرًا. فدلوا برفع (زيد) على أنه

---

(١) هو أبو علي، محمد بن المستنير، ويقال: إنه إنما سمي قطربًا؛ أن سيبويه كان يخرج، فيراه بالأسحار، على بابه، فيقول: إنما أنت قطرب ليل. والقطرب دويبة تدب.
انظر: الفيروزأبادي؛ محمد بن يعقوب: البلغة فى تراجم أئمة النحو واللغة. تحقيق: محمد المصري. جمعية إحياء التراث الإسلامي، الكويت، ١٤٠٧هـ، ص٧٢

(٢) هو: عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي، أبو القاسم، النحوي، تلميذ الشيخ أبي إسحاق الزجاج، قرأ عليه، ونسب إليه، وقرأ أيضًا على أبي جعفر بن رستم الطبري، وعلى أبي الحسن بن كيسان، وأبي بكر بن السراج، وأبي الحسن علي بن سليمان الأخفش، وأبي بكر محمد بن القاسم الأنباري، وأبي موسى الحامض، ومحمد ابن العباس اليزيدي، وابن دريد وغيرهم. ومن تصانيفه كتاب الجمل في النحو، وكتاب شرح خطبة أدب الكاتب، وشرح اسماء الله الحسنى، وكتاب الأمالي. وكان متشيعًا مدرسًا بجامع بني أمية بدمشق، كان يغسل مكان درسه؛ لأجل تشيعه. وكان حسن الشارة، مليح البزة. لما صنف الجمل لم يضع مسألة إلا وهو على طهارة، توفي بطبرية. انظر: البلغة فى تراجم أئمة النحو واللغة، ص ٣٢، (م س ذ).

فاعل، ونصب (عمرو) على أن الفعل واقع به، وهكذا"(١). وعليه تكون الحركات دالة على المعاني.

ويزيد (ابن فارس) الأمر وضوحًا؛ فيقول: "فأما الإعراب؛ ففيه تميز المعاني، ويوقف على أغراض المتكلمين، وذلك أن قائلًا لو قال: ما أحسن زيد، وهي جملة غير معربة؛ أو: ضرب عمرو زيد، وهي غير معربة كذلك؛ لم يوقف على مراده. فإذا قال: ما أحسن زيدًا، وما أحسنَ زيدٌ، أو ما أحسنُ زيدٍ؟ أبان بالإعراب عن المعنى الذي أراده، وللعرب في ذلك ما ليس لغيرهم، فهم يفرقون بالحركات وغيرها بين المباني"(٢). وهذا ما تطمئن إليه النفوس وتستريح، وبالسياق ذاته نزل القرآن الكريم، مما أثرى العربية، وجعلها لغة باقية دائمة، نالت مكانتها قديمًا قبل الإسلام، وعظمت وتقدست بتشريف القرآن لها، إن كانت هي لغته دون سواها.

أما (قطرب) الذي أشرنا إليه مسبقًا؛ فيرى أن هذه الحركات، جيء بها للسرعة في فهم الكلام، والتخلص من التقاء الساكنين، عند اتصال الكلام، فيقول: "وإنما أعربت العرب كلامها؛ لأن الاسم في حالة الوقف

---

(١) الزجاجي: الإيضاح في علل النحو. تحقيق: مازن المبارك. القاهرة، سنة ١٩٥٩م. ص ٦٩؛ جلال الدين السيوطي: الأشباه والنظائر. تحقيق: الدكتور محمد محمد تامر؛ والدكتور حافظ عاشور. دار السلام، الطبعة الأولى، سنة ١٩٩٨م. ج١، ص ٧٨

(٢) ابن فارس؛ أحمد، أبو الحسين: الصاحبي في فقه اللغة. دار الكتب الحديثة، القاهرة، سنة ١٩٩٥، ص ١٩٠؛ ابن الأنباري؛ عبد الرحمن، أبو البركات: لمع الأدلة في أصول النحو. تحقيق: الدكتور عطية عامر. المكتبة الكاثوليكية، بيروت، سنة ١٩٨٥م، ص ١٠٩

يلزمه السكون للوقف؛ فلو جعلوا وصله بالسكون أيضًا؛ لكان يلزمه الإسكان في الوصل والوقف، وكانوا يبطئون عند الإدراج، فلما وصلوا، وأمكنهم التحريك، جعلوا التحريك معاقبًا للإسكان؛ ليعتدل الكلام، ألا تراهم بنوا كلامهم على متحرك وساكن، ومتحركين وساكن، ولم يجمعوا بين ساكنين في حشو الكلمة، ولا في حشو بيت، ولا بين أربعة أحرف متحركة؛ لأنهم في اجتماع الساكنين يبطئون، وفي كثرة الحروف المتحركة يستعجلون، وتذهب المهلة في كلامهم؛ فجعلوا الحركة قبل الإسكان"(١).

وما سبق عرضه؛ كان رأي (قطرب)، الذي استنكر الإعراب في العربية، وهو -على ما نعلم- لم يسبقه إلى ذلك أحد؛ إنما تبعه فيما ذهب، الدكتور (إبراهيم أنيس)، في كتابه (من أسرار اللغة)، وممن تأثر بالأخير (فؤاد ترزي)، في كتابه (في أصول اللغة والنحو). وبخصوص (إبراهيم أنيس)، وهو الأهم؛ فيبدأ بحثه بمقدمة طويلة، بين فيها، كيف كان للنحاة سلطان على الشعراء والأدباء، وأنهم لم يصادفوا من يهاجمهم إلا النادر، من أمثال: (ابن مضاء القرطبي) الذي ألف كتابًا تصدى فيه لدحض علل النحاة، و(إبراهيم مصطفى) في كتابه (إحياء النحو)(٢).

---

(١) ينظر: الإيضاح في علل النحو؛ ص ٧٠، (م س ذ)؛ الأشباه والنظائر، ج١، ص ٧٩، (م س ذ)؛ العبكري؛ عبدالله بن الحسين، أبو البقاء: مسائل خلافية. دار الكتب العلمية، بيروت، سنة ١٩٨٩م، ص ٩٥

(٢) إبراهيم أنيس؛ الدكتور: من أسرار العربية. القاهرة، الطبعة الرابعة، سنة ١٩٧٦م، ص ص ٢٠٢ - ٢٠٧

أما نظرية الدكتور (أنيس)؛ الهادفة إلى القدح في خصائص العربية، خاصة الإعراب، والمتأثرة بآراء كثير من المستشرقين، في الوقت نفسه مؤثرة في آراء مستشرقين آخرين، فيمكن تلخيصها في ماياتي :

أولًا: ليس للحركة الإعرابية مدلول؛ فلا تدل على فاعلية، أو مفعولية، أو إضافة، أو غير ذلك.

ثانيًا: لا تعدو هذه الحركات الإعرابية، أن تكون حركات، يحتاج إليها في الكثير الغالب؛ لوصل الكلمات بعضها ببعض، بمعنى أنها حركات للتخلص من التقاء الساكنين، عند وصل الكلام، وأن معنى الفاعلية والمفعولية لا يستفاد من هذه الحركات؛ إنما من موقع كل من الفاعل والمفعول، في الجملة العربية.

ثالثًا: هناك عاملان تدخلا في تحدي حركة التخلص من التقاء الساكنين، أولهما إيثار بعض الحروف لحركة معينة، كإيثار حروف الحلق للفتحة مثلًا، وثانيهما: الميل إلى تجانس الحركات المتجاورة، أو ما يسمى: (Vowel Harmony).

رابعًا: سمع النحاة القدامى هذه الحركات؛ فأخطئوا تفسيرها، حين عدوها علامات على الفاعلية أو المفعولية، أو غير ذلك، في حين أنها لا تعدو أن تكون حركات وصل بين الكلمات.

خامسًا: حين اعتقد النحاة أن هذه الحركات، هي حركات إعرابية؛ حركوا أواخر الكلمات، التي لا داعي إلى تحريكها؛ لتطرد قواعدهم. فقالوا

مثلًا: الرجلُ قائم، بضم اللام من (الرجل)، وكان يكفي أن يقال الرجلْ قائم بتسكينها؛ إذ لا توجد ضرورة للتحريك(١).

هذا؛ ولم يكن الدكتور (أنيس) أول المشككين في ظاهرة الإعراب، تلك الخصية الأهم في خصائص العربية، والمتلازمة كل الالتزام مع القرآن الكريم؛ إنما سبقه من العرب (قطرب)، كما سلف. أما من المستشرقين؛ فنجد (كارل فوللرز – Karl Vollers)؛ يرى أن النص الأصلي للقرآن، قد كتب بإحدى اللهجات الشعبية التي كانت سائدة في الحجاز، والتي لا يوجد فيها –كما لا يوجد في غيرها– تلك النهايات المسماة بالإعراب، وأنه انتقل إلى هذا النص فيما بعد، الشكل الأدبي للغة العربية، الذي هو عليه الآن(٢).

وكذلك من المستشرقين الذين شككوا في قضية الإعراب: (باول كاله – Paul E. Kahle)، في كتابه (الذخائر القاهرية – Die Kairoer Geinsa)؛ إذ يقول: "جُمع نص القرآن بعد وفاة (محمد)(ﷺ) بمدة وجيزة، في عام ٦٣٢م، وأخذ شكله النهائي في عهد الخليفة الثالث (عثمان بن عفان: ٦٣٣ – ٦٥٥م)، وهنا قامت مشكلة؛ وهي كيف يُقرأ هذا النص، ويُرتَّل؟ فقد ولد (محمد)(ﷺ)، وانحدر –كمعظم مواطنيه– من القبيلة العربية (قريش)، وكانت اللغة العربية التي يتكلمها، هي لغة المواطن المثقف في مكة. والنص القرآني الخالي من الضبط بالشكل، يعكس بوضوح اللغة العربية، التي كانت لغة الحديث في مكة، غير أن العرب، كانوا قد

---

(١) من أسرار العربية، ص ٢٥٢، (م س ذ).

(2) Karl Vollers; Volkssprache und Schriftsprsche in alten Arabiem. Shtrasporg 1906, s. 170

تعودوا، أن يعدوا اللغة البدوية أنموذجًا للنطق الصحيح، وبهذه اللغة، تم نظم الشعر العربي الجاهلي، وكان كل عربي مزهوًّا بذلك. وإذا كانت كلمة الله لا يصح أن ترتل بلغة، أقل مستوى من أي لغة أخرى؛ فقد بدأت في العواصم الإسلامية، في ذلك العصر المبكر، في الكوفة والبصرة والمدينة ومكة، دراسة نشيطة للشعر البدوي؛ فكان الرجال المهتمون بهذا النمط في اللغة العربية، يذهبون إلى جيرانهم من البدو، ويجمعون ما أمكنهم من أشعارهم، وما يتصل بها من الحكايات، وهي في الغالب أخبار عن الحروب الصغيرة، التي جمعت تحت عنوان: (أيام العرب). وقد اتخذت المادة التي جمعت بهذه الطريقة؛ أساسًا للعربية النموذجية التي ابتدعها النحويون، ثم حذيت لغة القرآن على نمطها، ومع ذلك لم تتغير كتابة المصحف؛ بل ابتدعت طريقة أخرى، تضاف فيها علامات مختلقة إلى النص؛ لضمان صحة القراءة"[1].

وإذا كان الدكتور (أنيس)، والمستشرقان (فوللرز) و(كاله)؛ يريان هذا الرأي الغريب، ويستنكرون على العربية خصائصها؛ فإنا نفرد لذلك ردًا ﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ﴾ سورة فصلت آية :٤٢، وذلك بعد أن نورد بعضًا من آراء المستشرقين الذين درسوا العربية؛ فدافعوا عنها وعن خصائصها، أمثال نولدكه – TH. Noldeke) الذي يرى في مقالة له بعنوان: (ملاحظات على لغة العرب القدامى – Eining Bemerkungen uber Sprache der Araber.)؛ "أنه من غير المعقول أن يكون (محمد)(ﷺ) قد استعمل في القرآن لغة تخالف كل المخالفة، تلك اللغة

(1) Paul E. Kahle; Die Kairoer Geinsa, s. 92

التي كانت شائعة في مكة آنذاك، أو أن يكون قد اعتنى بالإعراب، هذه العناية، وقومه لا يستعملونه في كلامهم"(١). ويضيف (نولدكه) قائلًا: "إن شعر ذلك العصر كان يميل إلى لغة البدو، التي كانوا يتحدثون بها في ذلك الوقت، والتي ظلوا يتحدثون بها زمنًا طويلًا بعد ذلك، ولا يغير من هذه القضية شيئًا، أن لغة الشعر بها بعض الاختلافات عن لغة الحياة العامة، وأن الشاعر ما كان يضطره وزن الشعر وأسلوبه إلى الإتيان بتعبيرات خارجة عن المألوف، وغير ذلك من الأمور التي لاحظها كذلك قدامى اللغويين العرب، وسجلوها بدقة"(٢). ويضيف أيضًا: "أنه من الخطأ الشنيع الاعتقاد أن اللغة الحية في عهد النبي (محمد)(ﷺ) لم يكن فيها إعراب، فإن العلماء في عصر (هارون الرشيد) قد وجدوا الإعراب بكل دقائقه لدى البدو، ولكن ظاهرة الوقف الشائعة كثيرًا في الحديث اليومي، قد عودت الأذن على سماع الصيغ الخالية من الإعراب؛ فاستطاع أحد الشعراء استعمالها، عند اتصال الكلام كذلك، وعلى الأخص في صيغة المضارع التي لا تتلاءم كثيرًا مع وزن الشعر"(٣).

أما (ديلمان –Dillmann, August)، فيقول: "إنه لو كان النبي(ﷺ)، أو أحد معاصريه من المؤمنين، قد نطق بالقرآن دون إعراب؛ لكان من غير الممكن أن تضيع الروايات الخاصة بذلك، دون أن يبقى لنا آثار منها"(٤).

(1) TH. Noldeke; Eining Bemerkungen uber Sprache der Araber. Z A XII, 172
(2) Eining Bemerkungen uber Sprache der Araber.p. 170
(3) Eining Bemerkungen uber Sprache der Araber.p.10
(4) Dillmann, August; Grammatik der Äthiopischen Sprache Akademische Druck und Verlagsanstalte, Graz. s. 210

ويقول المستشرق (يوهان فك – J. Fuck): "احتفظت العربية الفصحى، في ظاهرة التصرف الإعرابي، بسمة من أقدم السمات اللغوية، التي فقدتها جميع اللغات السامية، باستثناء البابلية القديمة، قبل عصر نموها وازدهارها الأدبي، وقد احتدم النزاع حول غاية بقاء هذا التصرف الإعرابي، في لغة التخاطب الحي. فأشعار عرب البادية قبل الإسلام، وفي عصوره الأولى؛ ترينا علامات الإعراب مطردة كاملة السلطان، كما أن الحقيقة الثابتة، من أن النحويين العرب، كانوا حتى القرن الرابع الهجري، العاشر الميلادي على الأقل، يختلفون إلى عرب البادية؛ ليدرسوا لغتهم، الأمر الذي يدل على أن التصرف الإعرابي كان في أوج ازدهاره آنذاك، بل لا نزال حتى اليوم نجد في بعض البقايا الجامدة، من لهجات العرب البداة، ظواهر الإعراب"(١).

وفي السياق ذاته؛ يقول المستشرق (برجشتراسر – G. Bergstrasser): "والإعراب سامي الأصل، تشترك فيه اللغة الأكدية(٢)، وفي بعض

---

(١) يوهان فاك: العربية، دراسات في اللغة واللهجات والأساليب. ترجمة: الدكتور رمضان عبد التواب. مكتبة دار النهضة العربية، سنة ١٩٧٧م، ص ١٥

(٢) ظلت الأكادية لغة الحياة والدولة، حتى القرن السابع قبل الميلاد، وبسقوط الدولة الآشورية في القرن السابع قبل الميلاد؛ بدأ احتضار اللغة الأكادية، فقد كانت الآرامية تواصل انتشارها كلغة حديث ولغة تعامل، ولكن التغير اللغوي حدث ببطء شديد، فظل الازدواج اللغوي قائمًا عدة قرون، انتهت بأن تركت الأكادية الحياة، مخلفة وراءها تراثًا أدبيًّا، مثل ملحمة جلجامش. وتراثا قانونيًّا، مثل شريعة حمورابي . وعددًا كبيرا من النقوش ذات المضمون السياسي، والاجتماعي. ينظر: محمود فهمى حجازى،=

الحبشية، ونجد آثارًا منه في غيرها أيضًا"(١).

أما نظرية الدكتور (أنيس)، التي استهدفت استنكار الإعراب؛ فإن الباحث المدقق يستطيع الرد عليها من مناحٍ عدة، يختار البحث منها:

أولًا: وجود الإعراب كاملًا في بعض اللغات السامية القديمة؛ كالأكدية، وتشمل البابلية والأشورية في عصورهما القديمة، وكذلك (قانون حمورابي: ١٧٩٢ – ١٧٥٠ق. م.) المدون باللغة البابلية القديمة؛ إذ يوجد فيه الإعراب بصورة كاملة، كما في العربية تمامًا، فالفاعل مرفوع، والمفعول منصوب، وعلامة الرفع الضمة، والنصب الفتحة، وهكذا. من ذلك ما جاء في الفقرة الأولى من (قانون حمورابي)، والتي تقول: (Šumma awelum awelam ubbirma– إذا اتهم إنسان إنسانًا). ففي هذه الجملة نجد (awelum –إنسان) في حالة الفاعل مرفوعة بالضمة، والميم الأخيرة تقابل –في الأكدية– التنوين في العربية، وتعرف بالتمييم. وكذلك في كلمة (awelam –إنسانًا) في محل المفعولية، منصوبة بالفتحة، والميم الأخيرة للتنوين كسابقتها(٢). ليس ذلك فحسب؛ بل يوجد الإعراب كذلك في اللغة الأوجريتية، وهي إحدى اللغات السامية المكتشفة حديثًا في رأس شمرا، على الساحل الشمالي لسوريا، وهي مكتوبة بالخط

=الدكتور: علم اللغة العربية. دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، بدون تاريخ، ص ٤١

(١) جوتهلف برجشتراسر: التطور النحوى للغة العربية. ترجمة: الدكتور رمضان عبد التواب. مكتبة النهضة العربية، القاهرة، سنة ١٩٧٥م، ص ١١٦

(2) Von Soden. Wofram; Grundriss der Akkadischen Grammatik, Analecta Orientalia 33; 2. Auflage, Roma, 1969. s. 114

المسماري، غير أنه يسير فيها على النظام الأبجدي، ولا يوجد بها رموز لضبط الحركات إلا في الرمز الدال على صوت الهمزة(١). ومن الأمثلة على ذلك في الحبشية: (waetemeher neguša baènta mangeštu – ولا تشفق على الملك بسبب مملكته).

ثانيًا: إن القرآن الكريم قد وصل إلينا متواترًا، بالرواية الشفهية الموثوق بها جيلًا بعد جيل، معربًا، ولا يظن أحدًا أن النبي(ﷺ) كان لا يحرك أواخر الكلمات، في تلاوته لنص القرآن الكريم، إلا حيث اقتضته ضرورة وصل الكلمات، أو بعبارة أخرى: حيث أراد التخلص من التقاء الساكنين، عند اتصال الكلام. فمن غير الممكن دوران القرآن إلى هذا الحد من التواتر، أن نظن أن النبي(ﷺ) كان يتلو قوله(ﷻ): ﴿نٓ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ ١ مَآ أَنتَ بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ بِمَجۡنُونٖ ٢ وَإِنَّ لَكَ لَأَجۡرًا غَيۡرَ مَمۡنُونٖ ٣ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ ٤﴾ بتسكين أواخر كلمات: ﴿وَٱلۡقَلَمِ﴾، ﴿بِنِعۡمَةِ﴾، ﴿رَبِّكَ﴾، ﴿وَإِنَّكَ﴾، ﴿خُلُقٍ﴾. حيث لا يوجد ما يدعو إلى تحريكها من الناحية الصوتية.

ثالثًا: إن الرسم القرآني الذي نقل إلينا متواترًا؛ يؤيد وجود الإعراب في العربية الفصحى، وأنه ليس من اختراع النحويين، وإلا فكيف نفسر وجود الألف في الرسم العثماني، في حالة المنصوب المنون. فإننا إذا نظرنا –مثلًا– في قوله(ﷻ): ﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ١٤٠﴾(٢)

---

(١) كارل بروكلمان: فقه اللغات السامية. ترجمة: الدكتور رمضان عبد التواب. مكتبة النهضة العربية، سنة ١٩٧٨م، ص ١٠٢

(٢) سورة البقرة، آية: ١٤٠

وقوله(سبحانه وتعالى): ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾[1]؛ عسر علينا فهم السر في تحريك اللام في ﴿بِغَٰفِلٍ﴾ الأولى بالكسرة، والثانية ﴿غَٰفِلًا﴾ بالفتحة. وهكذا[2].

ومما سبق؛ يتضح -بلا أدنى شك- أن الإعراب ذو خاصية متلازمة في اللغة العربية، غير مبتدعة فيها، وبها نزل القرآن، بكل خصائص العربية، ما علمنا منها وما لم نعلم؛ الأمر الذي يؤكد تلازم العربية للقرآن الكريم، ومن ثمَّ؛ فإن للعربية مكانة بين اللغات السامية من الأهمية بمكان؛ حيث بقائها على الأصوات والسكنات، وحفاظها على جميع حروفها، في الوقت نفسه؛ ضياع ذلك أو معظمه في اللغات السامية الأخرى، هذا من جهة. ومن جهة ثانية؛ نزول القرآن الكريم، كتاب النبي(صلى الله عليه وسلم)الخاتم، التشريع الباقي إلى يوم الدين، بهذه اللغة دون غيرها؛ مما يؤكد مكانتها وقدسيتها.

المبحث الثالث
سبل تعزيز العلاقة بين اللغة العربية والقرآن الكريم

قد يتصور المرء أن بالإمكان ربط حقيقتين علميتين بعضها ببعض، من غير مسوغات كافية تعزز هذا الربط، ولكن هذا التصور لا ينم إلا عن قصور في فهم الحقائق العلمية، التي تفيد بوجوب حصول ما يكفي من المسوغات والدواعي، التي تستدعي ربط الحقائق العلمية بعضها

(١) سورة إبراهيم، آية: ٤٢

(٢) علي عبد الواحد وافي، الدكتور: فقه اللغة. دار الكتب الحديثة، القاهرة، سنة ١٩٨٩، ص ٢٠٩

ببعض. ولقد تناول البحث فيما سبق هذه المسوغات بشكل مختصر، إلا انه يبين -هنا- العوامل التي تكمن وراءها سبل تعزيز علاقة التلازم بين القرآن الكريم واللغة العربية. ويمكن إجمال هذه العوامل في ماياتي :

أولًا: البحث في ثنايا النصوص القرآنية، وأدبيات اللغة العربية، على ما يستلزم فهم أحدهما، فهم الآخر.

ثانيًا: تخصيص الدراسات القرآنية، المعنية باللغة العربية، وإفرادها؛ نحوًا وصرفًا وبلاغة، ببحث موجبات علاقة كلٍ منهما -القرآن الكريم واللغة العربية- بالآخر، من خلال الدراسات الأكاديمية العليا.

ثالثًا: العمل على كثرة الندوات التثقيفية، والمؤتمرات الدولية، التي تبين دور اللغة العربية في فهم الإسلام الصحيح، ودورها في بناء وإعادة تفعيل الحضارة الإسلامية.

رابعًا: تشجيع الدراسات والنشرات ودعمها، لتبين حقيقة أن العربية ليست لغة قومية فحسب؛ إنما هي لغة إسلامية عالمية، "فقد نشأ في الإسلام من لم يستشعر بعدُ أنَّ في إسلامه عزًا، وفي قرآنه فضلًا، وإنما الأمر عنده مجرد طقوس وشعائر، تُمارس من غير فهم، وما هذا إلا لهجرهم لغة القرآن والدين. يقول (ابن القيم): وإنما يعرفُ فضل القرآن؛ مَن عرف كلام العرب. إلى أن قال رحمه الله: ولذلك يقع في النفوس عند تلاوته وسماعه من الروعة، ما يملأ القلوب هيبة، والنفوس خشية، وتستلذه الأسماع، وتميل إليه بالحنين الطباع، سواء كانت فاهمة لمعانيه أو غير فاهمة، عالمة بما يحتويه أو غير عالمة،

كافرة بما جاء به أو مؤمنة"[١]. في السياق نفسه؛ يقول (الشافعي): "على كل مسلم أن يتعلم من لسان العرب ما بلغه جهده، وما ازداد من العلم باللسان، الذي جعله اللهُ لسان من ختم به نبوته، وأنزل به آخر كتبه، كان خيرًا له، كما عليه أن يتعلم الصلاة والذكر فيها، ويأتي البيت، وما أُمر بإتيانه، ويتوجه لما وُجه له، ويكون تبعًا فيما افترض عليه وندب إليه، لا متبوعا"[٢].

خامسًا: إقامة مؤتمرات خاصّة بالإعجاز القرآني؛ يستبان منها حجم الإعجاز القرآني وصوره، عن طريق توظيف آليات اللغة العربية، لغة ونحوًا وصرفًا وصوتا.

ولا شك أن جملة هذه النقاط؛ قد تشكِّل لنا التصور الدقيق عن سُبل تعزيز علاقة التلازم بين القرآن الكريم واللغة العربية، في عيون الجيل الناشئ في عالمنا الإسلامي الكبير. هذا الجيل الذي ظل تحت حكم القوميات، والنزعات الأخرى، كالوطنية، والاشتراكية، والرأسمالية في بلاد المسلمين، ظل يعاني أزمةٍ في الهوية، أزمة لم تخفف من وطأتها جميع هذه الأطروحات، ليس لكونها غير منطقية أو غير واقعية فحسب؛ بل لكونها لا تعبر عن حقيقة الشعور الواجب على كل فرد مسلم، شعور الأخوة الإيمانية الصادقة، والذي لا يمكن ترجمته إلا عن طريق اللغة

(١) حسين الدسوقي، الشيخ: لغتنا أو الهاوية. مقال منشور في موقع طريق القرآن. انظر: الشبكة الدولية للمعلومات (الشبكة العنكبوتية)، موقع: www.quranway.net، بتاريخ إبريل، ٢٠١١

(٢) الشافعي؛ محمد بن إدريس: الرسالة. تحقيق: أحمد محمد شاكر. دار الكتب العلمية، بيروت، بدون تاريخ، ص٤١

الإسلامية الحضارية المشتركة، والتي لا تمنع بحال من الأحوال أن يجمع المرء بينها وبين لغةٍ قومية أو إقليميةٍ أخرى، بل هو في أدبيات الإسلام من الفضائل والمميزات الحسنة.

المبحث الرابع
مستقبل العلاقة بين اللغة العربية والقرآن الكريم

لا يختلف مستقبل العلاقة بين القرآن الكريم واللغة العربية، عن مستقبل الإسلام ولغته الحية، بل هو داخلٌ فيها، مشتبكٌ بها اشتباك الماء بالعود الرطب؛ إذ إن النهضة الإسلامية الواعدة -التي تنمو يومًا بعد يوم- تبشر بالكثير من الخير لهذه العلاقة، وإن من تلك المبشرات كثرة الطلب في الشرق والغرب على أساتذة اللغة العربية، والإقبال المتزايد على تعلمها لمختلف المقاصد، ولقد تزايدت الدعوات يومًا بعض يوم، تلك التي تطالب بعودة الشعوب الإسلامية، التي تخلت عن الحرف العربي في كتابتها إليه.

بل إن من الحقائق الساطعة، التي تأكدت وتوثَّقت خلال الزمن؛ "إن الإسلام قد أثَّر في الشعوب الإسلامية غير الناطقة بالعربية، تأثيرًا شديدًا، ففضلًا عن اتخاذها الخط العربي لكتابة لغاتها به، فإن هذه اللغات قد صبغت أيضًا بصبغة عربية؛ فلغات الشعوب الإسلامية على العموم، قد تأثرت تأثرًا محسوسًا باللسان العربي، فيما استعارته من الألفاظ والكلمات العربية الكثيرة. ولقد كان الخط العربي هو الواسطة الوحيدة، للديانة، والتجارة، والمعاملات الاجتماعية للمسلمين، من أول الأقاليم

الوسطى الأفريقية، إلى آخرها، كما يستعمله مهاجرو الملايو في أقصى الجنوب الأفريقي.

ويتضح من كل ما تقدم؛ أن الحرف العربي انتشر بانتشار الحضارة الإسلامية، ولقد كان الحرف العربي من أقوى العوامل التي صمدت بها الشعوب الإسلامية الأفريقية، في وجه المستعمر لعهود طويلة، قبل أن يدب في أوصالها الوهن، وتسقط فريسة للاِستعمار، ابتداءً من القرن التاسع عشر. "ولذلك كان من متطلبات استكمال عناصر القوة لهذه الشعوب، السعي إلى إعادتها إلى دائرة هويتها الثقافية، وأصولها الحضارية، من خلال إعادة كتابة لغاتها الوطنية بالحرف العربي"(١).

ويضاف إلى ما سبق؛ أن استمرار وبقاء اللغة، مستمر بتصاعد أمواج الدعوة الإسلامية، وازدياد العائدين إلى دينهم، والداخلين في الإسلام يومًا بعد يوم. ويتزامن هذا الازدهار مع تصاعد مطرد، في تعلم اللغة العربية وننتشارها، خصوصًا مع ما نقرأ ونسمع هذه الأيام، عن اندثار لغات ما كان يتوقع لها أن تندثر في يوم من الأيام. وكذلك ما يصدر عن المراكز البحثية التخصصية، من دراسات تشير إلى عوامل بقاء اللغات واندثارها ، وأن العربية من أكثر اللغات في العالم امتلاكًا لهذه العوامل، لا بسبب ارتباطها بالقرآن الكريم فحسب؛ بل لما تمتلكه في بنيتها من مقومات البقاء.

(١) عبد العزيز بن عثمان التويجري، الدكتور: مستقبل اللغة العربية. كتاب إلكتروني، منشور في موقع منظمة الأيسيسكو. انظر: الشبكة الدولية للمعومات (الشبكة العنكبوتية)، موقع: www.isesco.org.ma، إبريل، سنة ٢٠١١م.

وقد كان للعربية الفضل في نقل العلوم والمعارف إلى تلك الحضارات، سخاءً لم يشهد له التاريخ مثيلًا، وإن مستقبل هذه اللغة، ومستقبل الدعوة إلى دين الإسلام، الذي يعدها من ركائزه الأساسة، في تبليغ الناس دعوة الحق، يمكن استشرافه من ماضيها الخالد. يقول المستشرق (رينان) في كتابه تاريخ اللغات السامية: "إن انتشار اللغة العربية يعتبر من أغرب ما وقع في تاريخ البشر، كما يعتبر من أصعب الأمور التي استعصى حلها؛ فقد كانت هذه اللغة غير معروفة بادئ ذي بدء؛ فبدت فجأة على غاية الكمال سَلِسَة أية سَلاسةٍ، غنية أي غنى، كاملة بحيث لم يدخل عليها منذ ذلك العهد إلى يومنا هذا أدنى تعديل مهم، فليس لها طفولة ولا شيخوخة، ظهرت لأول أمرها تامة مستحكمة، ولا أدري هل وقع مثل ذلك للغة من لغات الأرض، قبل أن تدخل في أدوار مختلفة؛ فإن العربية –ولا جدال– قد عمت أجزاء كبرى من العالم"(١).

والحقيقة التي لا مناص من قولها؛ أن الباحثين في اللغة العربية، لم يولوا انتشار اللغة العربية واستقرارها النصيب الوافر من البحث والتأمل. ويعد السبب الرئيس في قوة اللغة العربية ومتانتها، هو نزول القرآن بها، منذ بزوغ فجر الإسلام؛ وباتساع دائرة المد الإسلامي، واتجاه المسلمين لتحرير الناس، من عبودية المخلوقين، وفتق أجواء الحرية، والنور لهم؛ اتجه أولئك إلى اتخاذ اللغة العربية لغة التعبير

---

(١) أرنست رينان: تاريخ اللغات السامية العامّ ومنهجها المقارن. نشرت مقتطفات من هذا الكتاب على موقع (مؤسسة جذور الثقافية). انظر: الشبكة الدولية للمعومات (الشبكة العنكبوتية)، موقع: www.jozoor.net، إبريل، سنة ٢٠١١م.

لديهم؛ وكان للغة العربية وشائج وثيقة بحياتهم الاجتماعية والفكرية وغيرها. وعن طريق هذه اللغة كان نتاج الحضارة الإسلامية الزاهرة، في شتى المجالات الفكرية، والثقافية، والعلمية.

وقد أورد المستشرقان (انجلمان) و(دوزي) في كتابهما: (معجم المفردات الأسبانية والبرتغالية المشتقة من اللغة العربية)، أن الكلمات العربية الموجودة باللغة الأسبانية، تعادل ربع كلمات اللغة الأسبانية، وأن في اللغة البرتغالية، ما يربو على ثلاثة آلاف كلمة عربية. كما أن للمستشرق (لامانس) في كتابه: (ملاحظات على الألفاظ الفرنسية المشتقة عن العربية) ما يربو على سبعمائة كلمة عربية، دخلت اللغة الفرنسية؛ وقدم الأستاذ (تيلور) بحثًا عنوانه: (الكلمات العربية في اللغة الإنجليزية – Arabic Words In Inglish) موردًا فيه ما يزيد على ألف كلمة عربية، في الطب، والكيمياء، والفلك، والبيولوجيا، والجراحة، دخلت اللغة الإنجليزية.

أما عن تأثير اللغة العربية في اللغة الإيطالية؛ فيقول (رينالدي): "لقد ترك المسلمون عددًا عظيمًا من كلماتهم في اللغة الصقلية، والإيطالية، وانتقل كثير من الكلمات الصقلية، التي من أصل عربي، إلى اللغة الإيطالية، ثم تداخلت في اللغة العربية الفصحى، ولم تكن الكلمات فقط هي التي دخلت إيطاليا؛ وإنما تسربت أيضًا بعض جداول، من الدم العربي، في الجالية العربية التي نقلها معه إلى مدينة لوشيرا، الملك (فريدريك الثاني). ولا يزال الجزء الأعظم من الكلمات العربية الباقية في لغتنا الإيطالية –التي تفوق الحصر– دخلت اللغة بطريق المدنية، لا

بطريق الاستعمار. وإن وجود هذه الكلمات في اللغة الايطالية؛ يشهد بما كان للمدنية العربية، من نفوذ عظيم في العالم المسيحي"(١).

ومما سبق؛ يمكن إن نستقي بعض الحقائق، التي تعبر عما تشتمل عليه هذه اللغة من عناصر القوة، والمنعة، والصمود، في وجه الزمن والأعداء، الذين لم يدَّخروا جهدًا لإزالتها عن الوجود. "بعض الحقائق العلمية التي تميز اللغة العربية، من باقي اللغات، وهي خصائص ومميزات كثيرة ومتعددة، أهمها –في نظرنا– أنها لغة اشتقاقية، في حين أن اللغات الأخرى تعتمد بالخصوص على النحت، وهذه المزية –وغيرها– تفتح آفاقًا كبيرة للغة العربية؛ لإيجاد ألفاظ جديدة، وكلمات حديثة، فضلًا عمّا ما هو موجود في التراث اللغوي القديم، لهذه اللغة الحية.

وجدير بالذكر؛ فإن اللغة العربية –كما هو متداول– تتألف من ثمانين ألف مادة، ويقول المختصون: "إن المستعمل منها فقط، حوالي عشرة آلاف، وفضلًا عن هذه الثروة اللفظية الهائلة، التي تعتبر رصيدًا ضخمًا للغة، فإن لغتنا تشتمل في طبيعة تكوينها، على عناصر نموها وحيويتها؛ فهناك القياس، والقلب، والإبدال، والنحت، والتعريب، فضلًا عن ميزة الاشتقاق المشار إليها آنفا. وخلاصة القول؛ إن الوسائل التي يمكن الاستفادة منها بصورة رئيسة، لتكوين كلمات جديدة، بقصد الدلالة على

(١) حجي إبراهيم الزويد، الدكتور: أثر اللغة العربية في الحضارة البشرية. مقال منشور في الشبكة الدولية للمعومات.

معان جديدة، تتلخص في ثلاث طرق أصيلة هي: الاشتقاق، والتعريب، والنحت"(١).

وبناءً على ما سبق عرضه؛ يمكننا فهم أن اللغة العربية، ستبقى ملازمة للقرآن الكريم، بوصفها من أبرز أدوات فهم تعاليمهِ، بالشكل الصحيح، وسيبقى القرآن الكريم من أعظم وسائل حفظها، من الزوال، والاندثار، والتحريف، والتراجع. كما يظهر بوضوح، أن علاقة التلازم بين القرآن الكريم واللغة العربية، علاقة لا انفصام لها، ولا يمكن تصور تبدلها، مهما تغيرت الأزمنة والأمكنة.

ويرى البحث -من خلال هذا العرض الموجز- أن أهمية اللغة العربية؛ تزداد يومًا بعد يوم، فكلما اكتشف الباحثون، من عوامل النقص والتراجع والاندثار في اللغات العالمية الحية؛ زاد إقبال هؤلاء على اللغة العربية، إعجابًا بأسرارها وقوتها، هذا من ناحية، وتوقعًا مبنيًّا على الحقائق والبراهين، بأنها لغة العلم الرسمية في المستقبل القريب، من ناحية أخرى، شاءَ مَنْ شاء، وأبى مَنْ أبى.

---

(١) حمزة الكتاني، الدكتور: قدرة اللغة العربية على مسايرة الإبداعات والتجديدات في مجال العلوم الطبية والطبيعية. ص ص ٢ – ٣

الخاتمة

تعد الدراسات المهتمة باللغة العربية، قليلة نسبيًّا، وهذا –في حد ذاته– يشكل نقطة سلبية في مجال الدراسات العربية، ودراسات الشريعة الإسلامية؛ إذ يتضح خطر هذا النقص، من خلال الدراسات التي تحمل من الأخطاء والمغالطات، في حق اللغة العربية ومستقبلها الشيء الكثير. وأيضًا من خلال الصعوبات التي تواجه دعاة النهضة الإسلامية، أثناء حديثهم عن لغة القرآن الكريم.

والباحث –في تواضع– يقدِّم هذه الدراسة الموجزة؛ علها مساهمة في مشروعٍ كبير، يبين مكانة اللغة العربية في الإسلام والقرآن، وكذلك محاولة الولوج إلى دائرة الحديث عن مستقبلها المتوقع، بناءً على المعطيات العلمية، والبحثية التخصصية، والتي تشير في معظمها إلى أن هذه اللغة ستسود اللغات الحية في هذا العالم؛ نظرًا للتراجع الخطير الذي يصيب بقية اللغات، كالإنكليزية والفرنسية والصينية؛ مما يثير مخاوف العلماء في مختلف التخصصات، من حفظ المعلومات والحقائق العلمية المختبرية بهذه اللغات. حتى إن بعض الباحثين يذهب إلى أن الكثير من المراكز العلمية التخصصية الحساسة، أخذت توثق معلوماتها المعدة للحفظ؛ لغرض استئناف البحث فيها مستقبلًا باللغة العربية.

والحق؛ أن توافر هذه الحقائق القرآنية، والتاريخية، والبحثية المعاصرة، حول مكانة ومستقبل علاقة التلازم بين القرآن ولغتهِ ومستقبل تلك العلاقة؛ لهو خير دليل على مستقبل اللغة العربية، ومدى تأثيرها المستقبلي في الحركة الحضارية العالمية.

التوصيات

تنبئ هذه المرحلة الخطيرة والحساسة من تاريخ أمتنا؛ بوجوب قيام وسائل الإعلام المتنوعة بدورها التاريخي، ووقيام مؤسسات أخرى، وهيئات، مؤهلة وفاعلة؛ لتعليم اللغة العربية السليمة السهلة، ودعم لغة الإعلام الناطق بالعربية في كل فعالياته ومجالاته وبرامجه.

وبدهي القول؛ إن وسائل الإعلام قادرة على تكوين البيئة السماعية للغة العربية السليمة، في جميع مناحي الحياة، وجميع مجالات الإعلام وبرامجه؛ لما للغة الإعلامية من مكان بارز في الحياة اليومية من جميع جوانبها المختلفة. في الوقت نفسه؛ فإن اللغة –أيةُ لغة– تكتسب اكتسابًا بالاستعمال، والسماع، إلى جانب تعلم القراءة والكتابة. ومن أجل عموم الفائدة؛ يرى البحث تقديم هذه التوصيات؛ علّها تسهم بدفع حركة تعليم اللغة العربية –لغة القرآن ولغة أهل الجنة ولغة المسلمين المستمسكين والمعتزين بدينهم– إلى مصاف اللغات العالمية الحية، وبما يتناسب مع مكانتها الرفيعة بين لغات البشر، من ذلك:

أولًا: تكثيف الأنشطة الإعلامية التفاعلية، من خلال وسائل الإعلام المتنوعة، بالتوعية بأهمية اللغة العربية، كلغة حضارية لها أثرها البالغ في النهضة الحضارية للعالم الإسلامي. والمقصود بالتفاعلية؛ أن تخرج البرامج عن سياقها المعهود، بأن تذاع دروسًا باللغة العربية على شرائح معينة، تتواصل معها الإذاعة عبر البريد الالكتروني أو رسائل الجوال، ثم تعرض إقامة اختبار مجاني، وتشجع الفائزين بجوائز ثمينة. وهذا على سبيل المثال لا الحصر.

ثانيًّا: الخروج عن سياق المؤتمرات العادية؛ باستثمار المؤتمر إلى أقصى الحدود الممكنة، كعقد الدورات التطويرية الملحقة بالمؤتمر، وتشكيل فرق العمل عن بُعد؛ لضمان تحقيق توصياته ونتائجه.

ثالثًا: تعزيز دور الثقافة اللغوية؛ بالتعريف بآثار اللغة العربية على التقدم، وفهم الدين والتواصل الحضاري، وذلك بواسطة اللغات الأخرى -حتى المحلية منها- بالنسبة للشعوب غير الناطقة بالعربية.

رابعًا: تعزيز دور المدرسة والمعهد الديني؛ بتقوية مستويات اللغة العربية، والدعوة إلى نشر اللغة، وعدم إغفال مسألة الحوافز، مثال ذلك: جعل العلامات المدرسية نوع من هذه الحوافز، لمن يعلم غيره في المدرسة، أو خارجها، اللغة العربية، أو بعضًا من مبادئها.

خامسًا: إلزام المراحل المنتهية، بساعات متواصلة، في أيام معينة من الأسبوع، بالحديث باللغة العربية، وجعلها من ضمن مساقات الدراسة الإسلامية على وجه الخصوص.

سادسًا: التعريف المستمر بأثر تعلم اللغة العربية، في فهم الإسلام، وحفظ القرآن، وإدراك معانيه، عن طريق النشرات الدورية؛ على أن تكون هذه النشرات باللغات المفهومة للناس في مكان النشر والتوزيع، ولا بأس أن تتضمن بعض العبارات المترجمة، كالسلام، والتحية، والترحيب؛ تشجيعًا وتحفيزًا للمتلقي.

قائمة المصادر والمراجع

أولًا: المراجع العربية:

١. إبراهيم أنيس: فى اللهجات العربية. مكتبة الأنجلو المصرية، الطبعة الثالثة، سنة ١٩٦٥م.

٢. إبراهيم أنيس: من أسرار العربية. القاهرة، الطبعة الرابعة، سنة ١٩٧٦م.

٣. ابن الأنباري؛ عبد الرحمن، أبو البركات: إيضاح الوقف والابتداء في كتاب الله عز وجل. تحقيق: محيي الدين رمضان. مؤسسة الرسالة، بيروت، بدون تاريخ.

٤. ابن الأنباري؛ عبد الرحمن، أبو البركات: لمع الأدلة في أصول النحو. تحقيق: الدكتور عطية عامر. المكتبة الكاثوليكية، بيروت، سنة ١٩٨٥م.

٥. ابن الأنباري؛ عبد الرحمن، أبو البركات: نزهة الألباء فى طبقات الأدباء. مؤسسة الرسالة، بيروت، سنة ١٩٩٨م.

٦. ابن فارس: الصاحبى فى فقه اللغة. تحقيق: مصطفى الشويمى، بيروت، سنة ١٩٦٣م.

٧. ابن فارس؛ أحمد، أبو الحسين: الصاحبي في فقه اللغة. دار الكتب الحديثة، القاهرة، سنة ١٩٩٥م.

٨. ابن كثير؛ إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، أبو الفداء، ت ٧٧٤هـ: تفسير القرآن العظيم. تحقيق: سامي بن محمد السلامة. دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، سنة ١٩٩٩م.

٩. أبو بكر محمد بن الحسن الزبيدي: طبقات النحويين واللغويين.تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثانية، بدون تاريخ.

١٠. أبو هلال العسكرى: الفروق اللغوية. ضبطه وحققه: حسام الدين القدسى. دار زاهد القدسى، القاهرة، بدون تاريخ.

١١. أحمد مختار عمر، الدكتور. علم الدلالة. عالم الكتب، القاهرة، الطبعة الخامسة، سنة ١٩٩٨م.

١٢. استيفن أولمان. دور الكلمة في اللغة. ترجمة: كمال بشر. القاهرة، الطبعة الأولى، بدون تاريخ.

١٣. ثيودور نولدكه: اللغات السامية تخطيط عام. ترجمة: الدكتور رمضان عبد التـواب. دار النهضة العربية. القاهرة، بدون تاريخ.
١٤. جلال الدين السيوطى: المزهر فى علوم اللغة. تحقيق: محمد أحمـد جـاد المـولى، وآخرين. مطبعة الحلبي، القاهرة، بدون تاريخ.
١٥. جوتهلف برجشتراسر: التطور النحوى للغة العربية. ترجمة: الدكتور رمضان عبـد التواب. مكتبة النهضة العربية، القاهرة، سنة ١٩٧٥م.
١٦. الحموي؛ ياقوت: معجم الأدباء إرشاد الأريب إلى معرفة الأديـب. تحقيـق: إحسـن عباس. دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، سنة ١٩٩٣م.
١٧. خالد العريني: عناصر اللغة العربية وخصائصها. وزارة المعارف، المملكة العربيـة السعودية، بدون تاريخ.
١٨. الزجاجي: الإيضاح في علل النحو. تحقيق: مازن المبارك. القاهرة، سـنة ١٩٥٩م. ص ٦٩؛ جلال الدين السيوطي: الأشباه والنظائر. تحقيق: الدكتور محمد محمد تامر؛ والدكتور حافظ عاشور. دار السلام، الطبعة الأولى، سنة ١٩٩٨م.
١٩. سعيد عطية علي مطاوع، الدكتور: إشكالية الترادف في الترجمة العبريـة لمعـاني القرآن الكريم. دار الآفاق العربية، القاهرة، سنة ٢٠٠٦م.
٢٠. السيرافي؛ الحسن بن عبدالله، أبو سعيد، ت ٣٦٨هـ: أخبار النحـويين البصـريين. مكتبة المتنبي للطباعة والنشر والتوزيع، الكويت، بدون تاريخ.
٢١. الشافعي؛ محمد بن إدريس: الرسالة. تحقيق: أحمد محمد شاكر. دار الكتب العلميـة، بيروت، بدون تاريخ.
٢٢. صلاح فضل، الدكتور: علم الأسلوب. منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، الطبعة الأولى، سنة ١٩٨٥م.
٢٣. عبدالواحد بن علي، أبو الطيب، ت ٣٥١هـ: مراتب النحـويين. تحقيـق: الـدكتور محمد أبو الفضل إبراهيم. دار نهضة مصر، القاهرة، بدون تاريخ.
٢٤. العبكري؛ عبدالله بن الحسين، أبو البقاء: مسائل خلافية. دار الكتب العلمية، بيـروت، سنة ١٩٨٩م.

٢٥. العكبري؛ عبد الحي بن أحمد بن محمد الحنبلي، ت: ١٠٨٩هـ: شذرات الذهب في أخبار من ذهب. تحقيق: عبد القادر الأرنؤوط، ومحمود الأرنؤوط. دار ابن كثير، دمشق، طبعة سنة ١٤٠٦هـ.

٢٦. على اليمنى دردير، الدكتور: أسرار الترادف في القرآن الكريم. دار ابن حنظل، القاهرة، سنة ١٩٨٥م.

٢٧. علي عبد الواحد وافي، الدكتور: فقه اللغة. دار الكتب الحديثة، القاهرة، سنة ١٩٨٩م.

٢٨. الفيروزأبادي؛ محمد بن يعقوب: البلغة فى تراجم أئمة النحو واللغة. تحقيق: محمد المصري. جمعية إحياء التراث الإسلامي، الكويت، سنة ١٤٠٧هـ.

٢٩. القرطبي؛ محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين، أبو عبد الله، ت:٦٧١هـ: الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه السنة وآي الفرقان. تحقيق: هشام سمير البخاري. دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية، سنة ٢٠٠٣م.

٣٠. كارل بروكلمان: فقه اللغات السامية. ترجمة: الدكتور رمضان عبد التواب. مكتبة النهضة العربية، سنة ١٩٧٨م.

٣١. محمد بن عبد الرحمن الشايع، الدكتور: الفروق اللغوية وأثرها في تفسير القرآن الكريم. مكتبة العبيكان، المملكة العربية السعودية.

٣٢. محمود فهمى حجازى، الدكتور: علم اللغة العربية. دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، بدون تاريخ.

٣٣. المرزباني؛ محمد بن عمران، أبو عبيد الله: نور القبس المختصر من المقتبس في أخبار النجاة والأدباء والشعراء والعلماء. مؤسسة الرسالة، بيروت

٣٤. النديم: محمد بن إسحاق، أبو الفرج: الفهرست. دار المعرفة، بيروت، سنة ١٩٧٨م.

٣٥. يوهان فاك: العربية، دراسات في اللغة واللهجات والأساليب. ترجمة: الدكتور رمضان عبد التواب. مكتبة دار النهضة العربية، سنة ١٩٧٧م.

٣٦. محمد بن محمد أبو شهبة، الدكتور: الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير. مكتبة السنة، القاهرة، الطبعة الرابعة، سنة ١٤٠٨هـ.

ثانيًا: مواقع الشبكة الدولية للمعلومات:

١. الشبكة الدولية للمعلومات، موقع: www.quranway.net

٢. الشبكة الدولية للمعلومات، موقع: www.tafsir.org

٣. الشبكة الدولية للمعومات، موقع: www.isesco.org.ma

٤. الشبكة الدولية للمعومات، موقع: www.jozoor.net

ثالثًا: المراجع الأوربية:

1. Von Soden. Wofram; Grundriss der Akkadischen Grammatik, Analecta Orientalia 33; 2. Auflage, Roma, 1969.
2. Karl Vollers; Volkssprache und Schriftsprsche in alten Arabiem. Shtrasporg 1906.
3. Paul E. Kahle; Die Kairoer Geinsa.
4. TH. Noldeke; Eining Bemerkungen uber Sprache der Araber. Z A XII.
5. Dillmann, August; Grammatik der Äthiopischen Sprache Akademische Druck und Verlagsanstalte, Graz.
6. A.lehrer -Meaning in Linguistics -in theory of Meaning. A. and Klehere, U.S.A1975.